

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de
la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira

Tasdawit Akli Muhend Ulhag–tubirett

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج

-البويرة -



جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب

تحت إشراف :
- د. عبد القادر تواتي

من إعداد الطالبات :
• أسماء دراس
• بشرى بنابي
• جميلة حجام

السنة الجامعية 2018/2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de
la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira

Tasdawit Akli Muhend Ulhag–tubirett

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج

-البويرة -



جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب

تحت إشراف :
- د. عبد القادر تواتي

من إعداد الطالبات :
• أسماء دراس
• بشرى بنابي
• جميلة حجام

السنة الجامعية 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ولا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما: والداي العزيزين أدامهما الله.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ولا يمكن للأرقام أن تحصي

فضائلهما: والداي العزيزين أدامهما الله.

فلا شيء عندي أفخر به أعظم من دين أو من به، ورجل أفخر دائما عندما يختتم اسمي باسمه، من عمل بكّد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح، ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة وأوصلني إلى ما أنا عليه.

أبي الكريم

وامرأة عظيمة ربّتي فأحسنّت تربيتي وأنارت دربي، وأعاننتي بالصلوات والدعوات،

أعلى إنسان في هذا الوجود، نبع الحنان الذي لا ينضب

أمي الحبيبة

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي: اخوتي وأخواتي الأعمام

إلى كل من أحببت بصدق

إلى كل من ساندني ووقف إلى جانبي في محنتي.

إلى كل من ساعدني حين احتجت وما خذلني.

إلى كل من سقط من قلبي سهوا

وهي هذا العمدة

أسساء

إلى من جاء

أهدى هذا الإنجاز:

✓ إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار، وأدعو الله أن يمدّ في عمره حتى يرى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار، فكلماته مفتاح بسمتي، وضحكته سرّ سعادتي: **والدي العزيز "علي"**.

✓ إلى من في وصفها يعجز اللسان عن التعبير والقلم عن التدوين، إلى من أوصى بها الرسول صلّى الله عليه وسلّم وقال بأنّ الجنة تحت قدمها ستكون، وحتى في القرآن اسمها مذكور: **أمّي "زهية" قرّة العيون**.

✓ إلى من كان سندي وقت شدّتي، فاكتملت بوجوده فرحتي، إلى من وجدته بجانبني حين أحتاج، وأمّدني بالعون على الدوام، وزرع بقلبي الأمل، ونصّحني بالصبر والعمل، وأولاني حبّا واهتماما وبوجوده عرفت معنى الحياة.

✓ إلى من أدعو له في كلّ صلاة أن استره يا رباه، وأدخله فسيح الجنان: **أخي... أخي... هو أعلى إنسان وأعزّ الناس**.

✓ إلى كل أخوتي وأخواتي، وبراعم البيت وشموعه.

✓ وخاصة ریحانة الحبّ والحنان "هديل".

✓ ورمز البهجة والهناء "فرح".

✓ ورمز النضال والوفاء "بشرى".

بشرك

إلى صباء

أهدي ثمرة هذا الجهد والعمل:

✓ إلى الذي قال فيهما الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة الإسراء، 23

✓ إلى الحنونة التي حملتني وأعطتني شبابها ومنحتني قلبها وتحفيزها ودعاءها أمي

الحبيبة.

✓ إلى الذي لم يبخل عليّ بكلّ ما لديه من نصح وإرشاد وأنار مستقبلتي أبي الحنون

✓ إلى روح أختي التي تمنّيت أن تكون معي في هذه الفرحة أختي دلال -رحمها الله

وأسكنها فسيح جنانه-.

✓ إلى أخواتي: نعيمة، حياة، أمينة، إيمان.

✓ إلى أخواني: مرزاق وعبد الرحمان.

✓ إلي جدّي وجدّتي -أطال الله في عمرهما- وكل من أخوالي وخالاتي.

بمبلة

مقدمة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة أعجزت النَّاس أن يأتوا بمثله، وذلك لفصاحته وبلاغته وبيانه، فانبهر الخلق من لغته ودقّة تأليفه، وحسن التّلوين في أساليبه، وانطلاقاً من هذا أصبح محلّ اهتمام أهل العلم، فأقبلوا على دراسته وراحوا يستكشفون خباياه وأسراره، وحاولوا تبيان إعجاز ألفاظه ومعانيه وغيرها، فظهرت علوم مختلفة متعلّقة به، فأُلّفَت فيه المؤلّفات من تفسير، وفقه، وبلاغة... وغيرها، وهذا دليل على إعجازه، لذلك ظهرت دراسات مختلفة راجعة إلى تنوّع أساليبه وإعجازه وتنوّع طرق الخطاب فيه.

ومن بين الأساليب التي اعتنى بها العلماء فكانت محلّ بحثهم ودراستهم، أسلوب الالتفات الذي تناوله علماء اللّغة والبلاغيون في كتبهم، لما له من أهمية في البلاغة العربية عموماً، والبلاغة القرآنية خصوصاً، وهو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى والخروج عن مقتضى الظاهر، ويكون هذا بغرض من المتكلّم يسعى إلى الوصول إليه. وبصفتنا طلاب علم فلم نجد أفضل من البحث في كتاب الله، والغوص في أسراره، فجاء موضوع بحثنا بعنوان بلاغة أسلوب الالتفات، واخترنا "سورة يونس" أنموذجاً، كونها تحتوي على جملة من صور الالتفات التي تحمل في طياتها أسراراً ونكتاً بلاغية لها أثر في إعجاز القرآن الكريم.

ولسنا نحن السّباقين إلى البحث في هذا المجال، بل هناك دراسات سبقتنا، غاصت في هذا الموضوع وحلّلتها، ومن بينها: الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف

لخديجة بنّاني من السعودية -جامعة أمّ القرى-، نشرت في 1414هـ، وأسلوب الالتفات بمقامات الضّمائر سورة يونس أنموذجاً لمنى رابحي من الجزائر، جامعة محمد خيضر - بسكرة- 2015م، وبلاغة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره لمريم هبال من الجزائر، جامعة قاصدي مرياح -ورقلة- 2015م، ويكمن الاختلاف بين بحثنا هذا وتلك الدّراسات السّابقة في لغته وأسلوبه البسيط، وسهولة تناوله ودقّة الشّرح والتّفصيل، بحيث أنه يتسنى لكلّ طالب علم أن يبحث فيه دون أن تواجهه أيّة تعقيدات أو عراقيل، وكذلك لشموله لجميع أنواع الالتفات وعدم الاقتصار على الضّمائر فقط، وتحليل شاهد لكلّ نوع وذكر الأسرار البلاغية له، على عكس ما تطرّقت إليه الباحثة منى رابحي التي اقتصرت على الالتفات في الضّمائر فقط ولم تستخرج جميع شواهد، وتحليل شاهد واحد لكلّ نوع باختصار دون تفصيل، على عكسنا فقد مسحناها مسحا كليّاً من جميع أنواع الالتفات ولم نترك لها أيّ أثر.

وحاولنا في موضوعنا هذا البحث عن إشكالية مفادها: ما هي مواضع الالتفات في سورة يونس وما أنواعه فيها؟ وما هو السرّ البلاغي في استخدامها؟ وإلى أيّ مدى ساهمت في الإعجاز القرآني؟

وهذا ما تطلّب علينا اتباع خطة مكوّنة من مقدّمة وفصلين وخاتمة، الفصل الأوّل عنوانه بماهية الالتفات وأسراره البلاغية، ويحتوي على ثلاثة مباحث: الأوّل عنوانه: تعريف الالتفات وشروطه وتحدّثنا فيه عن الشّروط الواجب توفّرها في هذا الأسلوب، أمّا

الثاني فسمّيناه أقسام الالتفات، مقسّم إلى أربعة عناصر: الالتفات في "الضمائر والأفعال والعدد والصيغ"، أمّا المبحث الثالث فبعنوان: الأسرار البلاغية للالتفات، والتي أسهمت بدورها في الإعجاز القرآني، أمّا الفصل الثاني فعنوانه: بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس، وقسمناه إلى مدخل ومبحثين، فالمدخل تناولنا فيه محتوى الفصل ومنهجيته وكذلك التعريف بالمدونة، أمّا المبحث الأول فهو الالتفات في سورة يونس -إحصاء وتصنيف- فقمنا باستقراء شواهد الالتفات في السورة واستخراج منها جميع مواطن وأنواع الالتفات الواردة داخلها، والثاني هو بلاغة وأسرار الالتفات في سورة يونس: (دراسة نماذج)، ومثلنا لكلّ نوع بشاهد من شواهد، يلي هذا الفصل خاتمة اشتملت على نتائج الفصلين، وأفاق هذا البحث.

ومن خلال دراستنا للإشكالية والخطة المتبعة تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، واتّخاذ أداة مساعدة لتحليل صور الالتفات وذلك لانسجامه مع طبيعة الموضوع، وقد لجأنا إلى الاستقراء والإحصاء والتصنيف وهي أدوات هذا المنهج وآلياته. واعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: البرهان في علوم القرآن للزركشي، والبلاغة القرآنية أسسها وعلومها وفنونها للميداني، باعتبارهما من أهمّ الكتب التي تناولت هذه الظاهرة بالتفصيل، بالإضافة إلى أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن طبل... وكتب التفسير من بينها: الكشاف للزمخشري، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور... الخ.

إنّ بحثنا مثل سائر البحوث واجهتنا في إعداده مجموعة من الصعوبات أهمّها:
صعوبة البحث في القرآن الكريم والتّعامل معه بصفته نصّاً مقدّساً، وكذلك صعوبة البحث
في كتب التّفسير والتّراث واستخراج صور الالتفات وتصنيفها.

ولولا فضل الله سبحانه وتعالى وعونه وصبرنا لما تمكّنا من إتمام هذا البحث في
صورته التي انتهى إليها.

وفي الأخير فإنّه لمن الواجب أن نتقدّم بخالص الشّكر والتّقدير لأستاذنا القدير
الدّكتور: عبد القادر التواتي، الذي أشرف على هذا البحث وقدم لنا مجموعة من
التّوجيهات التي كان لها الأثر الكبير في تنظيم بحثنا وإتمامه، كما لا يفوتنا أن نشكر
الأخ الكريم الذي منح لنا المساعدة وأعاننا على تنظيم وكتابة هذا البحث في ظرف
صعب ووجيز، وعلى تقديمه لنا بعض النصائح والتوجيهات القيمة التي أخرجت هذه
الثمرة إلى حيز الوجود.

ونتمنّى من الله أن يكون في هذا البحث منفعة وسداداً، رغم ما فيه من نقصان.

الفصل الأول

ماهية الالتفات وأسواره البلاغية

تمهيد

المبحث الأول: تعريف الالتفات وشروطه

المبحث الثاني: أقسام الالتفات

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية للالتفات

قبل أن نغوص في سرد أفكار هذا البحث لابدّ أن نشير بتلميح وجيز إلى محتوى هذا الفصل، فقد قسّمناه على ثلاثة مباحث: تحدّثنا في المبحث الأول عن تعريف الالتفات وشروطه، وقد قمنا بتعريفه لغة واصطلاحاً وهذا حسب ما عرّفه اللغويون، وكل تعريف شرحنا محتواه وعلّقنا عليه، ثمّ تطرّقنا إلى الشروط الواجب توفّرها في الالتفات حتى يتحقّق، أما المبحث الثاني فتحدّثنا فيه عن الأقسام التي يظهر بها وهي متنوّعة ومتعدّدة من "ضمائر وعدد وأفعال وصيغ..."، و المبحث الثالث تناولنا فيه الأسرار البلاغية التي تنتج عنه، وأشرنا فيه إلى الفوائد العامّة للالتفات، وعرضنا كذلك مجموعة من الفوائد الخاصة التي تختلف باختلاف الكلام والمقام وما يقصده المتكلّم، ثمّ في نهاية هذا الفصل قدّمنا ملخصاً حول ما احتواه من أفكار.

المبحث الأول: تعريف الالتفات وشروطه.

يعد الالتفات فنًا من الفنون البلاغية العربية، فقد كان من بين المواضيع الهامة التي تناولها علماء اللغة والبلاغيون خاصة في مؤلفاتهم، ومن بينهم: السيوطي، الزركشي، الزمخشري... وغيرهم.

1- تعريفه

أ- لغة: الالتفات مصدر مأخوذ من الفعل التَفَتَ يَتَفَتُّ، ومادته (ل ف ت)، وهذه المادة وردت في عدة معاجم قديمة وحديثة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ما ورد في مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ) أن: «اللّام والفاء والتاء كلمة واحدة تدلّ على اللّي وصرف الشّيء عن جهته المستقيمة، ومنه لَفَتُ الشّيء: لويته صرفته (...). ومنه الالتفات، وهو أن تعدل بوجهك وكذا التَلَفْتُ»¹، نلاحظ من خلال هذا التعريف أن كلمة "لَفَتَ" بمعنى اللّي والعدول، وصرف الشّيء عن جهته المستقيمة. ومنها ما أورده ابن منظور (ت 711 هـ) في لسان العرب حيث قال: «لفت وجهه عن القوم: صرفه والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه، (...) وتلفت إلى الشّيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، ومنه قول الشاعر:

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ *** إِلَيَّ التَّفَاتَا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط: 3، 2011، مادة (ل ف ت).

ولفته يلفته لفتا: لواه على غير وجهه، وقيل: اللّي هو أن ترمي به إلى جانبك، ولفته عن الشيء يلفته لفتا أي صرفه (...)، يقال: ما لفتك عن فلان؟ أي ما صرفك عنه؟ ولفت فلان عن رأيه أي صرفته عنه، ومنه الالتفات، وأصل اللّفْت: ليّ الشيء عن الطريقة المستقيمة».

ومن هنا يتّضح أن الالتفات في معناه اللّغوي مأخوذ من الفعل "الْتَفَتَ" ومعناه: اللّي وصرف الشيء عن وجهته وجهته المستقيمة.

وقد ذكر ابن منظور أن لفظة "لَفَتَ" وردت في القرآن الكريم في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾¹، وقوله أيضا: ﴿أَجِئْنَا لِتَلْفِئْتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾²، فالآيتان تدلان على أن الالتفات هو الانصراف عن وجه الشيء والعدول إلى غيره.

والملاحظ من خلال هذه التعاريف هو اتّفاقها على أن مادّة (ل ف ت) تحمل في مفهومها اللّغوي معنى اللّي وصرف الشيء عن وجهه والعدول عن الطريق المستقيم، ومنه الالتفات.

1- سورة هود، الآية 81.

2- سورة يونس، الآية 78.

ب- اصطلاحاً: الالتفات من المواضيع الهامة في البلاغة العربية عموماً، والبلاغة القرآنية خصوصاً، فقد تناوله علماء اللّغة في كتبهم، وأولوه مزيداً من الاهتمام، لما له من أهمية كبيرة، كما اهتمّوا بتعريفه.

فقد عرفه السكاكي (ت 626هـ) بأنّه: «نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختصّ المسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمّى هذا النقل التفتاتاً عند علماء علم المعاني»¹، ويقصد بهذا أنّ مفهوم الالتفات هو تحويل الكلام من اتجاه إلى اتجاه آخر، ويكون بمخالفة الضّمائر بعضها البعض، وقد أدرجه ضمن علم المعاني.

أمّا ابن الأثير (ت 637 هـ) فيرى أنّ الالتفات: «حقيقته مأخوذة من التفتات الانسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصّة، لأنّه ينتقل فيه عن صيغته، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض»²، أي هو نوع من أنواع الكلام الخاص، لأنّ طريقة الكلام فيه تكون مخالفة للطريقة العادية، فيكون الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة أخرى، بمعنى التغيير في

1 - أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 2000م، ص 296.

2- ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، ج: 1، ص 408.

أسلوب الكلام، وقد تكون هذه الصيغة ضميراً أو فعلاً، مثل الانتقال من ضمير المتكلم إلى الغائب أو العكس، أو نقل الفعل من صيغة الماضي إلى المستقبل، فالالتفات عنده يكون بالضمائر والأفعال.

كما نجد تعريفاً للزركشي (ت 794 هـ) للالتفات وهو عنده: «نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرازا للسامع، وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سماعه»¹، فالالتفات عنده هو حسن استعمال المتكلم للضمائر، ونقله الكلام من حال إلى حال آخر، فتارة يأتي به على جهة الغائب، وتارة أخرى على جهة المخاطب.

ومن الأمثلة التي ذكرها الزركشي قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²، فالأصل يكون "إليه أرجع"، فالتفت من ضمير المتكلم "أنا" إلى ضمير الخطاب "أنتم"، فأخرج الكلام بصفة أنه يقوم بنصح نفسه، ولكنه يريد نصح قومه تلتطفاً بهم، فتحدث عن نفسه ثم التفت إليهم، لأنه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله، فالالتفات هنا الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب³.

1- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: 2، ج: 3، ص: 314.

2- سورة يس، الآية 22.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص: 315، بتصرف.

ومن خلال هذه التعاريف نلاحظ أنّ لكلّ واحد منهم وجهة نظر خاصّة تختلف عن الآخر، فالسكاكي أدرج الالتفات ضمن علم المعاني، ولكنّ المتأخرين أدرجوه في كتبهم ضمن علم البديع، وصرّح بأنّ الالتفات الانتقال من أحد الضمائر الثلاثة بعد التعبير بالأول.

وبالرغم من الاختلافات الموجودة بينهم إلا أنّ المفهوم الاصطلاحي للالتفات يبقى يدور حول معنى واحد عند علماء اللّغة، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، وأدرجه المتأخرون ضمن علم البديع.

والملاحظ أنّ التعريف الاصطلاحي لا يخرج عن التعريف اللّغوي، إذ يعني في اللّغة الانصراف والتحوّل من حالة إلى حالة أخرى، وفي الاصطلاح هو الانتقال من ضمير إلى ضمير ومن زمن إلى زمن آخر.

2- شروطه: لكي يتحقّق الالتفات لابدّ من توفّر شروط، هي:

1- الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، سواء أكان بالضمائر أو الأفعال أو الصيغ أو العدد من أجل تطرية نشاط السّامع، فهذا الشرط الأساسي للالتفات والمتفق عليه من طرف البلاغيين.

2- «أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وإلا يلزم عليه أن يكون في: "أنت صديقي" التفات»¹، ونرى أن هذا الشرط ليس لازماً، لأن المتكلم عند التعبير له الحرية في التنقل بين التكلم والخطاب والغيبة.

وبهذا يكون له التأثير نفسه، فإذا استوفى العناصر الجمالية والمؤثرة وأدى بعض الفوائد والأغراض البلاغية، تكون له خصائص وميزات فنية بيانية بليغة خاصة به.

3- «أن يكون في جملتين أي كلامين مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه»²، ولكن هذا ليس لازماً أيضاً، فقد يحدث وأن يأتي في كلام واحد وإن لم يكن بين جزئي الجملة، وهذا ما أشار إليه الزركشي بأنّ هذا الشرط فيه نظر، فلقد وقع الالتفات في القرآن الكريم بكليهما، يعني في "جملتين وفي كلام واحد"، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾³، حيث التفات هنا من الغائب "الله" إلى المتكلم "رحمتي".

وقوله أيضاً: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾⁴، بعد قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ﴾، فالتقدير "إن وهبت نفسها للنبي إنّا أخللنا لك"، وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد⁵،

1- أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، دط، ج:1، ص:1737.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص:331.

3- سورة العنكبوت، الآية 23.

4- سورة الأحزاب، الآية 50.

5- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص:332.

حيث التفت هنا من الخطاب "أحللنا لك" إلى الغائب "للنبي" في كلام واحد هو جملة الشرط.

4- «التنقل بين الماضي والمضارع والأمر، ويكون هذا بالتنويع في الكلام والخروج عن مقتضى الظاهر، والتنقل يكون بين الفعل والاسم واسم الفاعل واسم المفعول...»¹، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾²، فانقل من الفعل المضارع "يخرج"، إلى اسم الفاعل "مخرج"، مع أن مقتضى الظاهر: (ويخرج الميت من الحي).

1- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق-الدار الشامية: بيروت، ط:1، ج:1، ص484، بتصرف.

2- سورة الأنعام، الآية 95.

المبحث الثاني: أقسام الالتفات

للالتفات صور مختلفة وأقسام يظهر بها، وهناك من البلاغيين من ضيق أساليبه وحصرها في تبادل الضمائر، ومن بينهم الزمخشري، وهناك من وسّعها وجعلها في مخالفة أزمنة الأفعال بعضها البعض أيضاً، ونجد منهم: ابن الأثير، وهناك من وسّعها أكثر لتشمل إلى جانب هذا التبادل في الصيغ والعدد... ومنهم الزركشي، السيوطي وغيرهم.

1- الالتفات في الضمائر: وهو ستة أقسام:

أ- الانتقال من المتكلم إلى الخطاب: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹، فانتقل من ضمير المتكلم "أنا" المتمثل في "أعبد" إلى الخطاب "أنتم" المتمثل في "ترجعون"، مع أنّ مقتضى الظاهر أن يقول "وإليه أرجع"²، أي وما لي لا أخلص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، وأنا يوم القيامة راجع إليه.

ب- الانتقال من التكلم إلى الغيبة: مثل قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾³، فقد جاء الكلام على طريقة التكلم "إنا أعطيناك" ثم انتقل إلى ضمير الغائب "هو" في قوله: "فصلِّ لربك"، فالأصل أن يقول: "فصلِّ لنا" ليبين أنّ حقّ الربوبية

1- سورة يس، 22.

2- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص485، بتصرف.

3- سورة الكوثر، 1-2.

والعبادة والصلاة يكون لله وحده¹ لا شريك له، ولن يشرب أحد من ماء الكوثر الذي أعطاه لرسوله إلا من آمن به وعبده حقّ عبادته.

ج- الانتقال من الخطاب إلى التكلم: ومن شواهد قول علقمة بن عبده فيما ذكره

الميداني:

بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طُرُوبُ
وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيْهَا

ففي البداية بدأ يتحدث عن نفسه بأسلوب الخطاب "طحا بك" وفي البيت الثاني

عدل إلى أسلوب التكلم للحديث عن نفسه بقوله "يكلفني"، أي يكلفني حب ليلي وقد بعد

قربها²، مع أن أصل الكلام أن يقول: (كلّفني ليلي وقد شطّ وليها).

د- الانتقال من الخطاب إلى الغيبة: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ

بِهِمْ﴾³، فقد التفت من أسلوب الخطاب "أنتم" في قوله "كنتم" إلى أسلوب الغيبة "هم" في

قوله "جرين بهم"⁴، وأصل الكلام أن يقول: (وجرين بكم)، فعدل إلى ضمير الغيبة "هم"،

لأنّه يخصّ المشركين وكذلك ليذكّر الضراء إلى الإفضاء إلى ما يخصّهم، لأنّ هذه

الخصال ليست من شيم المؤمنين.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص316-317، بتصرف.

2- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص484، بتصرف.

3- سورة يونس، الآية 22.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص318، بتصرف.

هـ- الانتقال من الغيبة إلى التكلّم: وهذا في قوله جلّ جلاله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾¹، فانقل من صيغة الغائب "أرسل" إلى صيغة المتكلّم في "سقناه"، ليؤكد أنّ الله هو المختص القادر على إحياء الأرض بعد موتها وذلك بسوق السحاب إلى البلد الميت²، ومقتضى الظاهر: (والله الذي أرسل الرياح فأثارت سحابا)، فالأرض تكون ميّنة لا نبات فيها ولكن بمجرد نزول المطر تصبح مخضرة وتدبّ الحياة فيها، كذلك الإنسان إذا أراد الله أن يحييه أحياء وإذا أراد أن يميته أماته.

و- الانتقال من الغيبة إلى الخطاب: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾³، بدأ الحديث بأسلوب الغائب "قالوا" عمّن افترى على الله بأنّه اتخذ ولدا، وذلك ليبين للمؤمنين أنّ ذلك افتراء عليه، ثم عدل إلى أسلوب الخطاب موجّها خطابه إلى المفترين، فقال الله لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾⁴، أي جئتم بشيء عظيم وأنكرتم ما جئت به وافترت عليّ باتّخاذي ولدا، وأنا منزّه عن ذلك لا شريك لي ولا نظير ولا ولد ولا صاحبة، فتكذبون آياتي وأنتم تعلمون بل لا إله إلا أنا الأحد الصّمد.

2- الالتفات في العدد: وهذا ما تطرّق إليه الزركشي وهو عنده ستّة أقسام وهي:

1- سورة فاطر، الآية 9.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص320، بتصرف.

3- سورة مريم، الآية 88-89.

4- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص493، بتصرف.

أ- الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا

عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾¹، حيث انتقل من خطاب

الواحد في قوله "أجئتنا" إلى خطاب الاثنين في قوله "لكما".

ب- الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع: وذلك في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾²، فالتفت من خطاب الواحد "يا أيها النبي"، إلى خطاب الجمع

في قوله: "طلقتم"، حيث التفت إلى مخاطبة المؤمنين ليخبرهم بأنهم أيضا معنيون بتنفيذ

هذا الحكم وليس النبي فقط³، فصدر هذا الحكم عندما طلق الرسول صلى الله عليه وسلم

زوجته حفصة ثم راجعها، ومن ثم أصبح الحكم على جميع النساء المسلمات.

ج- الانتقال من الاثنين إلى الواحد: في قوله جل جلاله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾⁴،

فانتقل من خطاب الاثنين في قوله "ربكما" إلى خطاب الواحد في قوله "يا موسى".

د- الانتقال من الاثنين إلى الجمع: في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأْ

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵، فعدل من

خطاب الاثنين في قوله: "تبوءا لقومكما" إلى خطاب الجمع في قوله "واجعلوا" و"أقيموا".

1- سورة يونس، الآية 78.

2- سورة الطلاق، الآية 1.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:3، ص334. بتصرف.

4- سورة يونس، الآية 87.

5- سورة يونس، الآية 87.

هـ- الانتقال من الجمع إلى الواحد: في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹، فانقل من خطاب الجمع في قوله: "أقيموا" إلى خطاب الواحد في قوله: "وبشّر".

و- الانتقال من الجمع إلى التثنية: وذلك في قوله عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا...﴾ إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾²، فقد التفت من خطاب الجمع في قوله: "يا معشر" إلى خطاب الاثنين في قوله: "ربكما".

3- الالتفات في الأفعال: وهو أربعة أقسام:

أ- الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر: في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَنُشِهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾³، فهناك مخالفة للنسق الزمني، بمعنى أنه قال: "وأشهدوا" والأصل أن يقول "أشهدكم"، حتى يكون موازنا للكلام ومعناه، وذلك لكي يشهد أنّ الله بريء من الشرك، وهو إسهاد صحيح وثابت، وأمّا إسهادهم فما هو إلاّ تهاون بهم ودلالة على قلّة المبالاة بأمرهم، فعدل عن لفظة المستقبل "أشهد" إلى لفظة الأمر "أشهدوا"، حتى يستهزئ ويستنهين بهم⁴، ويبرئ نفسه من جميع الأنداد والأصنام، ويبين أنّ الله وحده لا شريك له وأنّه هو الأحقّ بالعبادة.

1- سورة يونس، الآية 87.

2- سورة الرحمن، الآية 33-34.

3- سورة هود، الآية 54.

4- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج:1، ص415، بتصرف.

ب- الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر: يتمّ العدول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر توكيدا لما أجرى عليه فعل الأمر، للعناية بتحقيقه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾¹، فالأصل أن يقول: "أمر ربّي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كلّ مسجد"، فعدل من الفعل الماضي "أقيموا" إلى فعل الأمر "ادعوه"، للعناية بتوكيد فعل الصلّاة في نفوسهم، لأنّها من أوكذ فرائض الله على العباد، وهذا العمل لا يصلح إلّا بالنية الخالصة لله في قوله: "مخلصين له"، أتبعها بالإخلاص وهو عمل القلب²، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل عبد حتى يجتمع فيه أمرين وهما: الإخلاص وأداء الشعائر وأن يكونا خالصين من الشرك.

ج- الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل: مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾³، فالفعل "فتثير" دلالة على المستقبل، وما بعدها جاء ماضٍ في: "فسقناه" و"فأحيينا"، فالهدف من هذا العدول هو استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على عظمة الله وقدرته الباهرة، وحكاية الحال التي تثير بها السحاب، فلكلّ فعل خصوصيته وميزته⁴، فميزة الشّيء الميّت أن يبيتّ فيه الروح، والأرض الميتة خصوصيتها أن تسقى بماء حتّى تعود إلى الحياة.

1- سورة الأعراف، الآية 29.

2- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج:1، ص416، بتصرف.

3- سورة فاطر، الآية 9.

4- ابن الأثير، المثل السائر، ج:1، ص417، بتصرف.

د-الإخبار عن الفعل المستقبل بالماضي: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾¹، فقد ذكر "حشرناهم" في الماضي بعد ذكره "نسيّر" و"ترى"، وكلاهما في المستقبل، وذلك للدلالة على أنّ حشرهم قبل التسيير والبروز لمشاهدة الأحوال، فكأنّه قال "وحشرناهم قبل ذلك"²، فالله تعالى يخبرهم عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيها من تغيرات وأتّه جامعهم ولن يترك أحدا من الأولين والآخرين، ولا صغيرا ولا كبيرا.

4-الالتفات في الصيغ: وهو نوعان مشهوران:

أ- في الفعل: وذلك في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾³، ففي هذه الآية الكريمة استخدام لصيغة الفعل الماضي (فعل)، وذلك بنزول القرآن على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، ثم انتقل من هذه الصيغة إلى صيغة أخرى (أفعل)، في وصف نزول التوراة والإنجيل على سيّدانا موسى وعيسى عليهما السّلام⁴، فعدل في هذا حتّى يبيّن بأنّ القرآن منزلّ بالحق وهو من عند الله لا شك فيه ولا ريب، وأنزله على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم كما أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هدى للنّاس.

1- سورة الكهف، الآية 47.

2- ابن الأثير، المثل السائر، ج:1، ص420، بتصريف.

3- سورة آل عمران، الآية 3.

4- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي: القاهرة، ط1، 1998، ص56، بتصريف.

ب- في الاسم: وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹، فقد كان مقتضى السياق أن ينفي نوح عليه السلام تهمة الضلالة عن نفسه بصيغة المصدر "ضلال" التي وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنه عدل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرة "ضلالة"، مبالغة في النفي، ذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدل إلا على الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى أو الأقل أبلغ من نفي الأكثر²، والضلالة أخص وأبلغ من الضلال حتى ينفي تهمة الضلال عن نفسه، كونه رسولاً من الله مبلّغاً رسالته وناصحاً عباده.

لقد تبين لنا مما سبق أن الالتفات له أوجه مختلفة ومتنوعة يظهر بها من "ضمائر وعدد وأفعال وصيغ..."، فالالتفات في الضمائر له ستة أوجه وكذلك العدد، أما في الأفعال فله أربعة صور، وفي الصيغ له أنواع مختلفة لكن لكثرتها اقتصرنا على الاسم والفعل فقط، وبهذا ينتج عن هذا العدول مجموعة من الأنواع المختلفة تمثل أشهر عناصر صور الالتفات، وكل هذه الأقسام هي خروج عن مقتضى الظاهر، يستعملها المتكلم للتفنن في أسلوب الكلام حتى لا يسير على وتيرة واحدة، ويحفظ نشاط السامع

1- سور الأعراف، الآية 60-61.

2- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص71، بتصرف.

من الملل والضجر، وهذه الأقسام ينجّر عنها مجموعة من الفوائد والأسرار البلاغية، وهذا ما سنتناوله في المبحث الآتي.

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية للالتفات

الالتفات من الأساليب البلاغية التي لها فوائد عامة وخاصة، فالعامّة تتمثل في دفع السّامة والملل عن المخاطب، لأنّ البقاء على منوال واحد يؤدّي إلى نفور السّامع وملل المتلقّي، فيأتي التّفنّ والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر من أجل تنشيط ذهن السّامع، وتحويل الكلام من صيغة إلى صيغة أخرى، يوسّع مجرى الكلام ويلفت انتباه المستمع ويظهر عنايته بالشّيء ويعظّم قيمة المذكور، وكذلك فنيّة التنويع في العبارة التي تكون مثيرة لانتباه المتلقي حتّى يصغي للكلام الموجّه له.

أمّا الخاصّة فتختلف باختلاف الكلام فيه على ما يقصده المتكلّم، ومنها ما ذكره السكاكي في قوله: «والعرب يستكثرون ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستمرار إصغائه»¹، فهو يرى أنّ العرب يستكثرون من هذا الأسلوب من أجل تجديد نشاط السّامع وصيانة ذهنه من الضّجر، ودفع السّامة عنه، فالنّفس بدوام الأسلوب الواحد على مسمعا تشعر بالنّفور والملل من السّير على منوال واحد في الكلام، فالنّغيير في الأسلوب يجعل السّامع يستمر في الإصغاء.

ومن الفوائد الخاصة نذكر:

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص296.

1- **تعظيم شأن المخاطب:** وذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹، فإنَّ العبد إذا افتتح الكلام بدأه بحمد مولاه في قوله: "الحمد لله" الدال على اختصاصه بالحمد، وجد في نفسه التَّحَرُّكُ لِلإِقْبَالِ عليه سبحانه، فإذا انتقل إلى قوله "ربَّ العالمين" الدال على ربوبيته لجميع قوى تحرُّكهم، فإذا قال: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" الدال على أنه منعم بأنواع النِّعَمِ الجليَّة والحقيرة، فإذا وصل إلى "ملك يوم الدين" فهذا يدلُّ على أنه مالك الأمر يوم الجزاء ويبيده كلَّ شيء، فإذا علم العبد بذلك اقترب منه وأقبل عليه، واستعان به في جميع الأعمال والمهمَّات²، فإذا ذكر العبد جميع هذه الآيات يقول الله تعالى له حمدني عبدي وأثنى عليَّ ومجَّدني، فإذا أتمَّ قراءة السُّورة يقول له: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

2- **التنبيه على ما حقَّ الكلام أن يكون واردا عليه:** كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾³، فالأصل في الكلام: "ما لكم لا تعبدون الذي فطركم"، فقد جاء الكلام على هذا المنوال من أجل نصحهم عن طريق نفسه، وليتلطَّفَ بهم، وأنه لا يقبل لهم إلا ما يقبل لنفسه، ثمَّ انتقل من ذلك إلى قوله: "وإليه ترجعون" ليبين ما كان مقتضيا له من أصل الكلام⁴، أي وأيَّ شيء يمنعي من أن أعبد الله الذي خلقني وإليه تصيرون جميعا .

1- سورة الفاتحة، الآية 2-5.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص 326.

3- سورة يس، الآية 22.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص 328، بتصرف.

3- أن يكون الغرض به تتميم لمعنى مقصود للمتكلم: وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهَا

يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾¹، فالأصل في الكلام: "إِنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مَّا" فمن أجل أن ينذر ويبين أن

الرَّبُّوبِيَّة تَقْتَضِي الرَّحْمَةَ لِلْعِبَادِ، لذلك وضع الظاهر موضع المضمرة، ثم التفت إلى

الضَّمِير وأعادَه إلى الرَّبِّ المَوْضُوعِ مَوْضِعَ المِضْمَرِ للمعنى المقصود من تتميم المعنى²،

لأنَّ جَمِيعَ مَا يَكُونُ مِنْ أَجَالٍ وَأَرْزَاقٍ وَمَا يُوْحِيهِ وَيَقْدَرُهُ إِلَى النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ بِيَدِهِ، وَهُوَ

مَحْكَمٌ لَا يَبْدَلُ وَلَا يَغْيِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

4- قصد المبالغة: كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيهِمْ﴾³، فكأنه بذلك

يذكر الحالة التي كانوا عليها لغيرهم، فيتعجب منها وينكرها، فهو يشير إلى العباد على

سبيل المبالغة إلى أن ما يقومون به من بغي وفساد في الأرض بغير الحق⁴، حتى إذا

أيقنوا ذلك وأخلصوا الدعاء لله وحده وتركوا ما كانوا يعبدون، ويقولوا: لئن أنجيتنا من

هذه الشدة التي نحن فيها لنكون من الشاكرين لك على كل نعمك .

5- قصد الدلالة على الاختصاص: كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁵، وهذا دليل على قدرة الله وعظمته

1- سورة الدخان، الآية 4-6.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص 329، بتصرف.

3- سورة يونس، الآية 22.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص 329، بتصرف.

5- سورة فاطر، الآية 9.

وحده دون غيره، فقد انتقل من لفظة الغيبة إلى التكلم، وبذلك دخوله في الاختصاص، والدليل على ذلك "سقناه" و"فأحيينا"¹، أي خص نفسه بالقدرة على إحياء الأرض بعد يبسها فتصبح مخضرة وكذلك يكون إحياء الموتى يوم القيامة.

6- **قصد الاهتمام:** وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾²، فانقل من الغيبة في "قضاهن" و "أوحى"، إلى التكلم في "وزيننا السماء الدنيا"، فالتفت في هذا الموضوع للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإله تعالى جعل الكواكب في السماء الدنيا للزينة والحفظ، فعدل عن هذا لأن طائفة اعتقدت أن النجوم ليست في السماء الدنيا وليست حفظاً، فانقل إلى التكلم والإخبار عن ذلك لتكذيب الفرقة المعنقدة بطلانه³، فإله تعالى هو الذي خلق الأرض والسماء في يومين وجعلهما آية للسائلين.

7- **قصد التوبيخ:** في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾⁴، فقد عدل من الغيبة إلى الخطاب ليؤكد هذا التوبيخ الموجه لهم، فأخبر عنه بالحضور فقال "لقد جئتم" ذلك لأن توبيخ الحاضر أبلغ وأقوى في الإهانة له⁵، ذلك لأن الشيء

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص329، بتصرف.

2- سورة فصلت، الآية 11-12.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص330، بتصرف.

4- سورة مريم، الآية 88-89.

5- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 3، ص330، بتصرف.

العظيم الذي جاءوا به إنما هو منكر وافتراء على الله، لذلك استعمل أسلوب التوبيخ معهم لينفي عن نفسه تهمة الافتراء.

ومما سبق نستنتج أنّ الالتفات من الأساليب البلاغية الهامة التي يستعملها المتكلم في كلامه، فبواسطته يستطيع الانتقال من حال إلى حال آخر حتى يلفت انتباه المتلقي ويجعله يصغي إلى كلامه، ويظهر عنايته بالشّيء المذكور، ويشترط فيه العدول من صيغة إلى أخرى، وبهذا له عدّة أقسام يظهر بها، فإذا توفّرت الشروط وتحقّقت هذه الأقسام، منح هذا الأسلوب للكلام أسراراً بلاغية بعضها عام والآخر خاص، وهذا ما سنحاول الوصول إليه من خلال تطبيقنا على سورة يونس، واستخراج الصّور والأسرار البلاغية التي تحتوي عليها هذه السّورة.

الفصل الثاني

بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس

المبحث الأول: الالتفات في سورة يونس - إحصاء وتصنيف.

المبحث الثاني: بلاغة الالتفات في سورة يونس - دراسة نماذج.

المدخل

أ- محتوى الفصل ومنهجيته

يحتوي هذا الفصل على مدخل عرضنا فيه ما يضمه والمنهجية المتبعة في عرض أفكاره وعناصره، وكذا التعريف بالسورة وما تتضمنه من مواضيع، وقسمناه إلى مبحثين، الأول الالتفات في سورة يونس إحصاء وتصنيف، حيث قمنا باستخراج صور الالتفات بكل أنواعه الواردة داخل السورة، وبعدها أحصينا كل نوع على حدة، ثم صنفناه داخل جداول، كل جدول يحمل بداخله نوعاً من أنواع الالتفات وذلك حتى يسهل للباحث العثور عليها، وفي المبحث الثاني الذي هو بلاغة الالتفات في سورة يونس -دراسة نماذج-، اقتصرنا على شرح نموذج لكل نوع وذلك لكثرتها ولا يسعنا تحليلها كلها، ثم كشفنا عن الأسرار البلاغية التي تحملها كل آية، وبيّنا مدى مساهمة هذه الأسرار في إعجاز كتاب الله.

ب- التعريف بالمدونة

سميت في المصاحف هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة سيدنا يونس عليه السلام وقومه فيها، فاختص الله بذكرهم بعد أن قام نبيهم بدعوتهم إلى عبادة الله عز وجل، فكذبوه وازدادوا ثباتاً على كفرهم وعنادهم، فلما وعدهم بنزول عذاب الله عليهم آمنوا وبعدها عفا الله عنهم، وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا

إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسُ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ¹، كرامةً وتفضيلاً ليونس عليه السلام.

وهي سورة مكّية كما ذكر الرازي في تفسيره ما عدا الآيات «40، 94، 95، 96 فهي مدنية»²، عدد آياتها مئة وتسع "109"، من السور المئين، وهي السورة العاشرة في ترتيب المصحف والحادية والخمسون في ترتيب نزول السور، تبدأ بحروف مقطعة «الر»، «نزلت بعد سورة الإسراء، وقبل سورة هود»³، وهي من السور التي وردت فيها أصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله، والكتب، والرسول، والبعث، والجزاء.

«ابتدأت بمقصد إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بدلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن (...)، والدليل على أنه من عند الله هو إعجازه لهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، ثم أتبع ذلك بإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإبطال اعتقاد المشركين أنّ الله يستحيل أن يرسل رسولا بشرا، ثم انتقل إلى الإثبات بأنّ الله منفرد في الألوهية (...)⁴»، كما اشتملت على أغراض إثبات الحشر والجزاء وإبطال اعتقادات الشرك بالله، وكذلك التذكير بما حلّ بأهل القرون الماضية، لتكذيبهم واقتراءهم على الله تعالى، وإنذاره لقوم يونس باتباعه حتى لا يحل بهم عذاب الله وسخطه

1- سورة يونس، الآية 98.

2- فخر الدين محمد بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، دط، ج: 17، ص 03.

3- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتوير، دار التونسية: تونس، دط: 1984، ج: 11، ص 78.

4- نفسه.

مثلما حلّ بالأمم التي سبقتهم، وغيرها من الأغراض والمواضيع التي اشتملت عليها هذه السورة وهي كثيرة.

المبحث الأول: الالتفات في سورة يونس إحصاء وتصنيف

لقد ورد الالتفات في سورة يونس بكلِّ أقسامه، حيث مسحنا هذه السورة مسحاً واستخرجنا منها ما استطعنا من أنواع الالتفات، ثمَّ أحصيناها وصنفناها في جداول مبرزين فيها موقع الالتفات، والملفت عنه، والملفت إليه، ونوع الالتفات ورقم الآية، واعتمدنا في تصنيفنا لهذه الأنواع على المنهج الوصفي التحليلي لارتباطه بالموضوع، ثمَّ أتبعنا تحت كلِّ جدول بعرض استنتاج بعده مباشرة، على شكل خلاصة مشيرين إلى كم من مرّة ذكر كل نوع ومن هو النوع الغالب والمنعدم في هذه السورة.

1- في الضمائر:

الرقم	موقع الالتفات	الملفت عنه	الملفت إليه	نوع الالتفات	رقم الآية
أ- من التكلّم إلى الغيبة					
01	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	أن أوحينا	ربهم	من التكلّم إلى الغيبة	02
02	﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۗ﴾	أدقنا	الله	من التكلّم إلى الغيبة	21

72 - 73	من التكلّم إلى الغيبه	فنجيناه ومن معه	سألتكم، أجري، أمرت، أكون	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾	06
93	من التكلّم إلى الغيبه	ربك	بوأنا، رزقناهم	﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	07
98 - 99	من التكلّم إلى الغيبه	ربك	كشفنا، ومتعناهم	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	08

ب- من الغيبة إلى التكلم					
11	من الغيبة إلى التكلم	فندر، لقاءنا	الله	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِاخْتِيَارٍ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ ۖ فَتَدَّرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	01
21	من الغيبة إلى التكلم	إنّ رسلنا	الله	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾	02
22	من الغيبة إلى التكلم	جرين	هو، الله	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيَمِ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۖ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	03
23	من الغيبة إلى التكلم	ثمّ إلينا	أنجاهم	﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ۖ مَتَاعٌ	04

				الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾	
69 - 70	من الغيبية إلى التكلم	ثم إلينا	على الله	﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمْ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾	05
72 - 73	من الغيبية إلى التكلم	فنجيناها، وأغرقنا	على الله	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنجيناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾	06
89 - 90	من الغيبية إلى التكلم	وجاوزنا	"قال" تعود على الله "هو"	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعْيًا وَعَدَوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُو لَأَ	07

				إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِء بَنُوآ إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنِ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾	
90	من الغيبية إلى التكلم	وأنا من المسلمين	قال	﴿وَجَلَوْرْنَا بِنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيَا وَعَدُوآ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِء بَنُوآ إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنِ الْمُسْلِمِينَ﴾	08
93 - 94	من الغيبية إلى التكلم	مما أنزلنا	ربك	﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ مُبَوآ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا أَخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَفْرءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	09
ج- من الغيبية إلى الخطاب					
04 - 05	من الغيبية	لتعلموا	بما كانوا يكفرون	﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا	01

	إلى الخطاب			<p>الصَّلِحَتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾</p>
18	من الغيبه إلى الخطاب	أَتَتَّبِعُونَ	يعبدون	<p>﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾</p>
20	من الغيبه إلى الخطاب	فَقُلْ	أنزل عليه	<p>﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾</p>
21	من الغيبه إلى الخطاب	ما تمكرون	الناس، مستهم	<p>﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ</p>

				فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٥٥﴾	
30 - 31	من الغيبية إلى الخطاب	من يرزقكم	ما كانوا يفترون	﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	05
31	من الغيبية إلى الخطاب	أفلا تتقون	سيقولون	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	06
55 - 56	من الغيبية إلى الخطاب	إليه ترجعون	أكثرهم لا يعلمون	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ ﴿٥٧﴾	07

				يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِقَاءُ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾	
66 - 67	من الغيبه إلى الخطاب	جعل لكم الليل لتسكنوا	وإن هم إلا يخرصون	﴿لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٠٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٠٩﴾﴾	08
73	من الغيبه إلى الخطاب	فانظر	فنجيناه ومن معه	﴿فَكَذَّبُوهُ فَانجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿١١٠﴾﴾	09
د - من الخطاب إلى الغيبه					
15	من الخطاب إلى الغيبه	يشركون	أتنبئون	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١١﴾﴾	01

22	من الخطاب إلى الغيبية	وجرين بهم	يسيركم	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَبِنَ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	02
29 - 30	من الخطاب إلى الغيبية	وردوا إلى الله، وضل عنهم ما كانوا يفترون	إن كنا عن عبادتكم	﴿فَدَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾	03
31	من الخطاب إلى الغيبية	سيقولون	من يرزقكم	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	04

<p>35 - 36</p>	<p>من الخطاب إلى الغيبية</p>	<p>أكثرهم، بما يفعلون</p>	<p>فما لكم كيف تحكمون</p>	<p>﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾</p>	<p>05</p>
<p>57 - 58</p>	<p>من الخطاب إلى الغيبية</p>	<p>مما يجمعون</p>	<p>يا أيها الناس قد جاءكم</p>	<p>﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾</p>	<p>06</p>
<p>73 - 74</p>	<p>من الخطاب إلى الغيبية</p>	<p>من بعده</p>	<p>فانظر</p>	<p>﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾</p>	<p>07</p>

				كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٠١﴾	
هـ - من التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ					
90 - 91	من التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ	عصيت، كنت	وأنا من المسلمين	﴿وَجَلَّوْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْكَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	01
104 - 105	من التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ	أن أقم وجهك، ولا تكونن	أعبد، أمرت، أن أكون	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	02

من خلال تصنيفنا لمواطن الالتفات في هذا الجدول، والواردة في هذه السورة

نلاحظ أن أسلوب الالتفات من بين الأساليب الأكثر شيوعاً داخل السورة، إذ أن كل

الأساليب الواردة فيها تقريباً هي أساليب التفات، وخاصة الالتفات بالضمائر، إذ يوجد

فيها 35 صورة من هذا النوع، والصورة الأكثر وروداً فيها هي الانتقال من الغيبة إلى التّكلم وكذلك الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، إذ وردت كلّ واحدة من هاتين الصّورتين 9 مرّات داخل السّورة، ثم تأتي بعدها في المرتبة الثانية الانتقال من التّكلم إلى الغيبة إذ وردت 8 مرّات، أما الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فقد جاء في سبع مواضع لا أكثر، ومن التّكلم إلى الخطاب في موضعين وهذه الصورة فهي الأقل شيوعاً داخل السورة، أما الصورة التي لم نجد لها أثراً هي الانتقال من الخطاب إلى التّكلم.

2- في العدد: قمنا بتصنيف الالتفات بالعدد مباشرة بعد الضمائر لأنّه هو الأسلوب

الثاني البارز بعدها، إذ صنفناه داخل هذا الجدول حسب وروده في السورة، وفي نفس الوقت أحصينا كم ورد كل نوع داخلها ليتضح لنا من هو الأكثر شيوعاً والمنعدم، ثم أتبعناه باستنتاج في خلاصة الجدول وملاحظاته.

الرقم	موقع الالتفات	الملتفت عنه	الملتفت إليه	نوع الالتفات	رقم الآية
أ- من الجمع إلى المفرد					
01		السّموات	الأرض	من الجمع إلى المفرد	03
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾					

06	من الجمع إلى المفرد	الأرض	السموات	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾	02
18	من الجمع إلى المفرد	الأرض	السموات	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ فُلْ أَتْنِبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	03
18	من الجمع إلى المفرد	ربك	فذلكم الله ربكم	﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣١﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	04
61	من الجمع إلى المفرد	وما يعزب عن ربك	إذ تفيضون	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾	05
66	من الجمع إلى المفرد	الأرض	السموات	﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ	06

				يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٨﴾
68	من الجمع إلى المفرد	الأرض	السموات	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
83	من الجمع إلى المفرد	فرعون	فرعون وملايهم	﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾
87	من الجمع إلى المفرد	وبشّر	واجعلوا، وأقيموا	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَّبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
90	من الجمع إلى المفرد	أدركه	فرعون وجنوده	﴿وَجَلَّوْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

95	من الجمع إلى المفرد	فتكون	ولا تكونن	﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَّاتٍ اللَّهُ فَتَكُونَ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾	11
105 - 106	من الجمع إلى المفرد	ولا تدع، ما لا ينفعك	ولا تكونن	﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	12
ب - من المفرد إلى الجمع					
31	من المفرد إلى الجمع	الأبصار	السمع	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	01
61	من المفرد إلى الجمع	ولا تعملون، إذ تفيضون	تكون، تتلوا	﴿مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُنْفِضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	02

83	من المفرد إلى الجمع	وملايهم	فرعون	﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	03
88	من المفرد إلى الجمع	أموالاً	زينة	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشُدِّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	04
94	من المفرد إلى الجمع	فلا تكوننَّ	كنت، إليك، جاءك	﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرَيِّنِ ﴾	05
105	من المفرد إلى الجمع	ولا تكوننَّ	أقم وجهك	﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	06
ج- من المفرد إلى التثنية					
78	من المفرد إلى التثنية	وتكون لكما الكبرياء	أجبتنا لتلفتنا	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْا بِمُؤْمِنِينَ ﴾	01

د- من التثنية إلى الجمع					
87	من التثنية إلى الجمع	واجعلوا، وأقيموا	أن تبوءا لقومكما	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	01
88	من التثنية إلى الجمع	ليضلوا	فرعون وملاه	﴿قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾	02

نستنتج من خلال هذا الجدول أنّ الالتفات بالعدد ثاني أبرز نوع وارد في هذه

السورة، إذ ظهرت في 21 موعداً، فالله سبحانه وتعالى استعمل هذا الأسلوب حسب ما

تقتضيه الحالة التي يكون في صدد مخاطبة الناس بها، فتارة يخاطب المفرد بصيغة

الجمع، وتارة أخرى يخاطب الاثنين بصفة المفرد أو العكس، وهذا حتى يبيّن من

المخاطب والمقصود من الكلام، ويجعله يصغي لكلامه ويتدبر معاني آياته.

ف نجد أنّ الانتقال من الجمع إلى المفرد هو النوع الأكثر تردداً داخل السورة إذ ورد

في 12 موعداً، إذ أنّ استعمال هذا النوع كان بغرض مخاطبة فرعون وجنوده مع

موسى عليه السلام، ثم بعدها يلتفت الله سبحانه وتعالى ليُجعل الخطاب من موسى إلى

فرعون وقومه التابعين له، وهذه الصورة هي الانتقال من المفرد إلى الجمع ووردت في

6 مواضع فقط، أمّا من التثنية إلى الجمع فقد ظهرت في موضعين لا أكثر، ومن المفرد إلى التثنية وردت مرّة واحدة وهذا عندما خاطب فرعون موسى عليه السّلام واتهمه بأنّه جاء بالسحر، ثم بعدها أشرك في الأمر أخاه هارون معه، أمّا الصّورة المنعدمة والتي لم نجد لها أثراً داخل السّورة فهي الانتقال من التثنية إلى المفرد، وكذلك من الجمع إلى التثنية.

واستعمل هذا النوع من الالتفات لأنّ الخطاب كان موجهاً إلى أشخاص، وفي كل مرّة يختلف عددهم، فتارة يكون واحداً، وتارة أخرى يكون اثنين أو جماعة، فيخاطبهم الله سبحانه وتعالى حسب عددهم.

3- في الأفعال: وضعنا مواطن الالتفات بالأفعال الواردة داخل السّورة في جدول تفصيلي، يوضح لنا كلّ نوع كم ورد من مرّة وصنّفنا الأنواع حسب تسلسلها في السّورة، ثم تحت الجدول خلاصنا إلى استنتاج يبرز لنا ما احتواه.

الرقم	موقع الالتفات	الملتفت عنه	الملتفت إليه	نوع الالتفات	رقم الآية
أ- من الماضي إلى المضارع					
01	﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾	خَلَقَ	يدبّر	من الماضي إلى المضارع	03

				إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾	
05	من الماضي إلى المضارع	يفصل	خَلَقَ	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	02
12	من الماضي إلى المضارع	يدعنا	مَسَّ	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجُنُبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	03
14	من الماضي إلى المضارع	لننظر	جعلناكم	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	04
19	من الماضي إلى المضارع	يختلفون	فاختلفوا	﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	05
39	من الماضي	لم يحيطوا	كذبوا	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ	06

	إلى المضارع			كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ^ط فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾	
52	من الماضي إلى المضارع	تجزون، تكسبون	ظلموا، ذوقوا	﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٤١﴾﴾	07
54	من الماضي إلى المضارع	لا يُظلمون	أسروا، رأوا	﴿وَلَوْ أَن لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَفْتَدَتْ بِهِ ^ط وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ^ط وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾	08
ب- من الماضي إلى الأمر					
15	من الماضي إلى الأمر	قل	قال	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِفُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي ^ط إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ^ط إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾	01
20	من الماضي إلى الأمر	قل	أنزل	﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ^ط فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٤٤﴾﴾	02

ج- من المضارع إلى الماضي				
20	من المضارع إلى الماضي	فانتظروا	يقولون	01 ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِيَلَّهِ فَأَنْتَظِرُونَ إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَنْظِرِينَ ﴾

نستنتج من خلال هذا الجدول أن الالتفات بالأفعال وارد في هذه السورة بنسبة ضئيلة مقارنة بعدد آياتها وبالأنواع الأخرى، إذ ورد في إحدى عشر موضعا وبثلاثة أنواع فقط، حيث أن النوع الغالب هو الانتقال من الماضي إلى المضارع وورد في 08 مواضع، إذ أن الله تعالى كان يذكر للناس حال الأمم السابقة وما ستتاله من جزاء يوم القيامة وهو يوم لقاءه، أما الرجوع من الماضي إلى الأمر فقد ورد هو الآخر في موضعين، والرجوع من المضارع إلى الماضي مرة واحدة، أما النوع المنعدم داخل السورة فهو من المضارع إلى الأمر، إذ أنه لم يقتض المقام ذكره لذلك لم يرد.

ومن هذا المنطلق نقول أن الالتفات بالأفعال حاضر في هذه السورة بنسبة تكاد معتبرة إلى حد ما، حتى لا نقول عنه منعدم، فاستعمل لأسباب وانعدم لأسباب كذلك، والله وحده العليم بها، فالأمور الغيبية والخفية لا نستطيع كشفها نحن.

4- في الصيغ:

الرقم	موقع الالتفات	الملتفت عنه	الملتفت إليه	نوع الالتفات	رقم الآية
01	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	نُنَجِّي	نُنَجِّ	في الفعل	103

والمستخلص من هذا الجدول أنّ مواطن الالتفات بالصيغ في هذه السورة لم ترد إلا في موضع واحد لا أكثر، وجاءت على صيغة الفعل "فعل" الذي يدلّ على التكرار والمبالغة، وكذلك على "أفعل" الذي يدلّ على التعدية، والاختلاف يكمن في الصيغة فقط، ولكنّ المعنى واحد، حيث وردت في هذا الموضع لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل نصر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين من عذاب الكافرين وإنّجاءهم حقّ وواجب عليه قضاءه، لذلك تمّ العدول في هذه الصيغة وهذا النوع من الالتفات هو الأقلّ شيوعاً داخل السورة.

ومما سبق نستنتج أنّ أسلوب الالتفات يحقق الإعجاز القرآني بنسبة كبيرة، لما له من أسرار خفية وآثار يتركها لدى السّامع، إذ أنّ هذه السورة تزخر بهذا الأسلوب، إلا أنّها لم تشمل على كلّ صور أقسامه، فمثلاً في الضمائر لم نجد الانتقال من الخطاب إلى التّكلم، ولكن غلب عليها الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، فالالتفات بالضمائر كانت له الأسبقية والحظّ الأوفر في الظهور داخل هذه السورة.

وفي العدد نجد شيوع العدول من الجمع إلى المفرد وغياب العدول من الجمع إلى التثنية، ومن التثنية إلى المفرد، أمّا في الأفعال فنجد الغلبة للانتقال من الماضي إلى المضارع وغياب الرجوع من المضارع إلى الأمر، وفي الصيغ ورد الانتقال في صيغتي الفعل "أَفْعَلَّ" و"فَعَّلَ" فقط.

وهذا الانتقال لم يكن إلا لغاية معيّنة اقتضاها المقام، لذلك تنوّعت الفوائد والأسرار

المستخلصة منه.

المبحث الثاني: بلاغة الالتفات في سورة يونس -دراسة نماذج-

إن القرآن الكريم باعتباره خطاباً تعددت أساليبه ومن بينها أسلوب الالتفات، وهذه الظاهرة الأخيرة وردت فيه بكثرة، إذ يعدّ من بين الأساليب البلاغية التي تزخر بها سورة يونس وأكثرها شيوعاً، وأوسعها تردداً فيها، وهذا تفاقداً للتكرار ورغبة في تنويع العبارات من أجل صيانة نشاط السامع، وقصد إظهار الأسرار الجمالية الموجودة فيه، وبيان إعجازه.

ولقد حصرنا في المبحث السابق صور الالتفات المتنوعة التي تحققت في السورة، وفي هذا المبحث اقتصرنا على تحليل شاهد واحد من كل نوع وذلك لكثرتها وتنوعها، وقصد عرض الأسرار البلاغية المتنوعة التي احتوتها هذه السورة، واتبعنا في تحليلنا لهذه الشواهد على ذكر الآية ثم محلّ الشاهد داخلها، ثم أصل الكلام لو لم يكن ذلك التفاتاً، وفي نهاية تحليلنا سنحاول أن نعرض في كلّ حالة السرّ البلاغي في استخدامها ومدى مساهمتها في الإعجاز القرآني وتوجيه المفسرين لها.

1- في الضمائر: والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ هذا النوع من الالتفات قد ورد

في هذه السورة بشكل كبير، ونظراً لتعدده واتساعه نقنصر على ذكر بعض الأمثلة التي

تخدمه:

أ- الالتفات من التكلّم إلى الغيبة: ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ

عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ

رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ¹، والالتفات الوارد في هذه الآية هو العدول عن التّكلم المتمثّل في "أن أوحينا" أي "نحن"، إلى الغيبة في "عند ربّهم" أي "هو"، حيث ورد الأسلوب في بداية الآية بصيغة التّكلم لينكر تعجّب النّاس من أن يوحي الله إلى بشر، وانصرف إلى الغيبة "ربّهم" ليذكر أنّ هناك من آمن بالله وخصّه بالعبادة دون أن يراه، فلو جاء الكلام على أسلوب واحد، ولم يكن التّفاتاً لكان الأصل أن يقول: (أنّ لهم قدم صدق عندنا)، ولأنّ هناك استثناء عدل في الكلام.

والفائدة من وراء هذا الالتفات هي توبيخ الكافرين على تعجّبهم من قدرة الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم، لأنّهم كانوا يقولون ويتعجّبون: «أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى النّاس إلّا محمّد حفيد أبي طالب ليذكر لهم البعث، ويذكر النّاس بالنّار ويبيّش بالجنّة»²، وكذلك ليذكر الذين آمنوا أنّ لهم منزلة رفيعة جزاءً على إيمانهم وإخلاصهم لله في العبادة، ولهذا غير الأسلوب ليوضّح تلك المعاني العظيمة تنميماً لمعنى مقصود للمتكلّم وهو أنّ هذا الأمر لا يستعجب منه، فالله قادر ولا يعجزه شيء، وكذلك تبشير المؤمنين أنّ لهم الجزاء يوم القيامة لإيمانهم وإخلاصهم.

1- سورة يونس، الآية 2.

2- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان: السعودية، ط: 1: 1998، ج: 03، ص539.

ب- **الالتفات من الغيبة إلى التكلّم:** ومن شواهد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِأَخَيْرٍ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾¹، والالتفات الحاصل في هذه الآية هو الانتقال من الغيبة "الله" أي "هو"، إلى التكلّم "فنذر الذين لا يرجون لقاءنا" أي "نحن"، ففي البداية كان الخطاب موجّهاً إلى المشركين، لأنّ المؤمنين كانوا يتمنون أن ينزل الله العذاب الشديد على المشركين، حتّى يكون النصر للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، ثمّ عدل إلى التكلّم ليبين أنّه لم يبلغ لهم حلول أجلهم وذلك حتّى يتركهم في طغيانهم وضلالهم تائبين، وذلك بسبب إنكارهم البعث، وهذه الصّفات أصبحت واضحة عليهم، ووضع هذا حتّى يقيم الحجّة عليهم، فلو لم يكن هذا التفتاً وجاء الكلام على طبيعته لكان الأصل أن يقول: (فيذر الذين لا يرجون لقاءه في طغيانهم يعمهون)، ولأنّ فيها عدول جاءت بتلك الصّيغة المخالفة لمقتضى الظاهر.

والسرّ البلاغيّ من هذه الآية هو قصد الدلالة على المبالغة لأنّه عبّر عن تعجيل الله الشرّ لهم بلفظ "استعجالهم"، ذلك لمبالغتهم في طلب التعجيل الكثير للمشركين، فأنزل الله هذه الآية سكينه على قلوب المؤمنين وعلمهم حكمة من حكم تصرفه في هذا الكون، لأنّه جعل لهذا الكون نظاماً يسير عليه فأراد ثبات بنائه، فالله لطيف بعباده لذلك جعل الرّفق بهم مستمراً غير منقطع، إذ أنه لم يجعل الخير والشرّ متوازيان رفقا منه وتلفاً

1- سورة يونس، الآية 11.

بعباده، «فإنه ذكر عذاب المشركين الذين هم رادون إليه ليبيّن لهم سبب تأخير العذاب عنهم في الدنيا ليكشف عن غرورهم وظلمهم، ويعلم الذين آمنوا حكمة من حكم تصرفه في هذا الكون»¹، فلو أنه جعلهما متوازيين لهلك من في الأرض جميعا ولو عجل الشرّ والعذاب على الذين يستحقونه لبطل النظام الذي يمشي عليه العالم.

ج- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: ومن شواهد قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي

يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾²، والالتفات الوارد في هذه الآية هو العدول

عن الخطاب في قوله: "يسيركم" أي "أنتم"، إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم" أي "هم"،

فإنه سبحانه وتعالى في هذه الآية يذكر الشكر والامتنان للمخاطبين وإظهار نعمته عليهم،

والخطاب شامل للمؤمنين والكفار الذين يمشون في البر والبحر، وأنهم إذا أصابتهم وألمت

بهم مصيبة وكره دعوا الله مخلصين، وإذا ألم بهم ما يشتهون ظلوا على طغيانهم

وضلالهم، ونسوا فضل الله ونعمه عليهم، ولأن هذه الآية فيها التفات وتغيير في طريقة

الكلام جاءت بهذا الأسلوب، ولكن لو لم يكن هناك تفنن وخروج عن مقتضى الظاهر

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 11، ص 106.

2- سورة يونس، الآية 22.

لكان الأصل أن يأتي الكلام على هذا الوجه: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها).

قال الزمخشري: «فإذا قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتوبيخ»¹، ذلك لأن حالتهم تختلف بحسب الحوادث التي تأتيهم، وما يحدث لهم في هذه الحياة من مصائب، فإذا جاءهم ما يبغون ويشتهون طغوا في الأرض فساداً وبغياً، ونسوا فضل الله عليهم، أما إذا أصابتهم مصيبة أو ضرر عادوا إلى الله ولجأوا إليه متضرعين طالبين منه أن ينجيهم، وهذه هي الفائدة المكتسبة من هذه الآية.

د- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: ومن شواهد قوله عز وجل: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْهِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾²، وعليه فإن الالتفات الحاصل في هذه الآية هو العدول عن الغيبة في 'فكذبوه فنجيناها ومن معه' أي 'هو'، ويعود ضمير الغائب هنا على نوح عليه السلام والذين كانوا معه في السفينة، إلى الخطاب في: 'فانظر' أي 'أنت'، بمعنى فانظر أيها السامع كيف عاقب الله الذين حذّروهم من غضبه وسخطه عليهم، وذلك أنه أغرقهم في الطوفان جزاءً على تكذيبهم بآياته، وعدل في أسلوب الكلام في هذا الموضع ليذكره

1- الزمخشري، الكشاف، ج:3، ص546.

2- سورة يونس، الآية 73.

بالنّظر والتّفكّر بما فعله بالكافرين والمكذّبين بما جاء به، فلو لم يغيّر في أسلوب الحديث لكان مقتضى الأصل أن يقول: (فنظر كيف كان عاقبة المنذرين)، وهذا تحذير لمن أنذرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن مثله وتسلية له.

والفائدة المكتسبة من هذا العدول هي التّبيه على ما حقّ الكلام أن يكون وارداً عليه، وهي أنّ عاقبة الكافر والمرتدّ عن دين الله الهلاك والوقوع في سخط الله ولعنته إلى يوم القيامة، وجعله آية وعبرة لمن يعتبر ويخوّف به من أراد أن يعصي ربّه، قال الطّبري في تفسيره: «وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذبوه، بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بحجنا وأدلتنا على توحيدنا لله ورسالة رسولنا نوح، وقال الله لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم انظر كيف عاقبت الذين أنذرهم نوح، وذلك لتكذيبهم إيّاه وعبادتهم الأصنام، لأنّ عاقبة من كذّبك من قومك إن تمادوا في كفرهم وطغيانهم على ربّهم ستكون عاقبتهم نفس عاقبة قوم نوح حين كذبوه»¹، وهكذا يكون الله قد ضرب مثلاً للكفّار بأنّ في حال تكذيبهم برسالة نبيّهم محمّد صلّى الله عليه وسلّم وآياته، ستكون نهاية حالهم الهلاك ونار جهنّم مصيرهم.

هـ - الالتفات من التّكلم إلى الخطاب: من مواطن الاستشهاد بهذا النوع نذكر قوله

تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

1- أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشّار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرّسالة: بيروت، ط: 01: 1994، مج: 04، ص 230-231، بتصرّف.

وَلَكِنَّ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنِي وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ¹، والالتفات الوارد في هذه الآية هو الانصراف عن

التكلم المتمثل في: "أعبد، أمرت، أن أكون" أي "أنا"، إلى الخطاب المتمثل في: "أن أقم

وجهك، ولا تكونن" أي "أنت"، ولأن هناك عدول في أسلوب الخطاب وخروج عن الطبيعة

الأصلية للكلام جاء بهذا الأسلوب، ولكن كان الأصل في الكلام أن يقول: (وَأَنْ أَقِيمَ

وجهي للدين حنيفا ولا أكونن من المشركين)، فغير في أسلوب الخطاب ليلفت انتباه

المشركين الذين لم يسلموا وأمره أن يعبد الأصنام التي يعبدونها ويعدل عن دينه الحنيف،

وليبين أن الله هو الذي أمره بعبادته واختار له ما ينفعه وألا يشرك به ويعبد ما يعبدون،

فهو على يقين من فساد دينهم فلا يتبعه وأن أصل الدين هو الإسلام.

وسرّ العدول في هذه الآية هو قصد المبالغة لأنّ المشركين الخارجين عن دين

الإسلام كانوا يبالغون في طلبهم، «وتأكيد الفعل المنهية عنه بنون التوكيد للمبالغة في

النهي عنه اعتناءً بالتبرؤ من الطائفة ذات نحلة الشرك»²، وذلك بدعوة الرسول صلى

الله عليه وسلم إلى الشرك بالله والانصراف عما يقوم به من صلاة وتوحيد يخلصه

للأصنام التي يعبدونها وليس لله، ولكنه بقي على دينه وتوحيده لله، ولم يترك وجهه

ينصرف إلى شيء آخر ويجعل لغير دين الإسلام شريكا في توجهه، لأنّ الله أمره بتبليغ

1- سورة يونس، الآية 104-105.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 11، ص304، بتصرف.

وإرشاد الأمة وإصلاحها وليس بفسادها، قال أبو السعود: «فاعلموا أنه تخصيص العبادة به ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وتقديماً ترك عبادة الغير على عبادته تعالى (...) إن كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا أن خلاصته إخلاص العبادة لمن بيده الإيجاد والإعدام دون ما هو بمعزل منهما من الأصنام فاعرضوها على عقولكم وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه»¹، وهذا دليل على أنه لم يشأ أن يرتد عن دينه لأنه يعلم عين اليقين بأن الإسلام هو دين الحق والصواب ولا مجال للشك فيه لأنه من عند الله، والله لا يقبل لعباده القبيح والتكبير.

2- في العدد: نجد في سورة يونس العديد من مواطن الالتفات في نوع "الإفراد والتثنية

والجمع"، ومن هذه الأنواع نذكر:

أ- الالتفات من المفرد إلى الجمع: من مواطن الاستشهاد بهذا النوع نذكر قوله تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا

إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾²، ومن خلال هذه الآية يتضح لنا أن هناك تفنن في

أسلوب الخطاب وخروج عن مقتضى الظاهر، إذ انصرف المتكلم من خطاب المفرد في

قوله: "وما تكون، وما تتلوا" أي "أنت" إلى خطاب الجمع في قوله: "ولا تعملون، إذ

1- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي:

بيروت-لبنان، دط، ج:04، ص179، بتصرف.

2- سورة يونس، الآية 61.

تفيضون " أي "أنتم"، فتوجّه الخطاب في البداية إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خطاب خاص لبيّن أنّ ما يقوم به من تلاوة آيات الله وتبليغها للنّاس أنّ الله عليم بها، ثمّ عدل في أسلوب الكلام ليجمعه عامّاً للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا معه، لأنّ عبادة الله ليست موجّهة إلى الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط بل إلى النّاس كافة، والله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء ولو كان بمقال ذرّة إلاّ وله علم بها ولا أكبر إلاّ وهي في كتاب مبين، وبما أنّ هناك تقنّن في الخطاب جاء على هذا الحال، لكن الأصل كان يجب أن يقول: (ولا تعمل من عمل إلاّ كنّا عليك شهوداً إذ تفيض فيه)، فانصرف من المفرد إلى الجمع لأنّ عبادة الله والأعمال الصّالحة من صلاة وزكاة وتسبيح تخصّ جميع الخلق وليس الرّسل فقط.

والسرّ البلاغي من وراء هذا العدول هو تعظيم شأن المخاطب وبيان قدرة الله وعظّمته، وأنّه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، وما من عمل يقوم به الإنسان إلاّ وهو عليم به وحاصيه في كتاب مبين، قال ابن عاشور: «ورد الحديث للتّبيه على أن ما حصل ويحصل وسيحصل هو في علم الله كأنه قيل وما كنتم وتكون إلاّ كنّا ونكون وسنكون عليكم شهوداً، والاستثناء هو عموم الأحوال التي اقتضاها عموم الشّأن والتلاوة والعمل، إلاّ في حالة علمنا بذلك وخصّت حالة الاندفاع في العمل والشّروع فيه بقوة واهتمام بعد تعميم الأعمال اهتماماً بهذا النوع كذكر الخاصّ بعد العام»¹، وأخبر

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:11، ص212-213، بتصرف.

عن المفرد بصيغة الجمع للاندفاع إلى العمل والشروع فيه بقوة واهتمام، لأنّ هذه الأعمال كلّها في مرضاة الله وضمير الجمع هنا للدلالة على التّعظيم وإعلاء شأنه سبحانه وتعالى.

ب- الالتفات من الجمع إلى المفرد: ونستشهد بهذا النوع من الالتفات بقوله تبارك

وتعالى: ﴿وَجَوْرْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ

الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾¹،

والالتفات الوارد في هذه الآية هو الانتقال من الجمع في "فرعون وجنوده" أي "هم"، إلى

المفرد في "أدركه" أي "هو"، والأصل في الكلام: (حتى إذا أدركهم الغرق قالوا آمنا)

وجاء الخطاب في صدر الآية بصيغة الجمع وعلى هذه الشاكلة لأنّه كان موجّهاً إلى

فرعون وجنوده، وذلك لما حاولوا اللحاق ببني إسرائيل يريدون حصرهم ومنعهم من السفر

حتى إذا دخلوا البحر يتقصّون آثارهم حلّ سخط الله وعذابه عليهم بسبب بغيتهم وطغيانهم

في الأرض، أطبق الله عليهم البحر بعد أن شقّ الطّريق فيه لكي ينجي المسلمين ويغرق

الكافرين، فلما أيس فرعون من النّجاة وأحسّ بالموت وأصبح هو المختص بالذكر عدل

إلى المفرد، ليبين أنّ فرعون لما أيقن بالموت وأنه لا فرار من عذاب الله اعترف له

بالوحدانيّة والرّبوبيّة وقال: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾، فأدرك باب التّوبة والإيمان في وقت لا يقبل الله فيه إيمان كافر ولا تنفعه

توبته.

1- سورة يونس، الآية 90.

وجاءت الفائدة من هذه الآية قصد التوبيخ ليخبر ويبين أنّ إيمان فرعون بعد حلول غضب الله عليه لا ينفعه ولا يقبل إسلامه، ولقد ذكر ابن عاشور: «أنّ فرعون حاول اللّحاق ببني إسرائيل ودخل البحر يتقصّى آثارهم، فسار في تلك الطرائق يريد حصرهم ومنعهم من السّفَر (...)، واستمرّ في اتّباعهم إلى وقت إدراكه الغرق وردّ الله غمرة الماء على فرعون وجنوده (...)، فلما أيس من النّجاة وأيقن بالموت قال آمنت وأنا من المسلمين وذلك لشدة كفره (...)، فجعل الصّلة ببني إسرائيل طريقاً لمعرفة الله، ولم يقل أسلمت أي يلزمني ما التزموه وجاء مجملاً لضيق الوقت عن التّفصيل»¹، فالحقّ باق وهو الغالب على الباطل في النّهاية، وأنّ الله قادر على الانتقام من الذين يكفرون به ويطغون في الأرض علواً وفساداً، وجعل الله فرعون آية للذين يريدون أن يطغوا فوق أرضه بغياً وعدواناً، وأنّ نهايتهم ستكون مثل نهايته.

ج- الالتفات من المفرد إلى التثنية: ومن شواهد قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾²، ففي هذه الآية جاءت لفظة "أجئتنا" مفردة أي "أنت"، ثم التفت إلى التثنية في قوله "لكما" أي "أنتما"، ففي البداية كان الخطاب موجّهاً إلى موسى عليه السّلام وحده، لذلك جاءت "أجئتنا لتلفتنا" مفردة، وذلك لما ظهرت معجزته فاعتقد فرعون وجنوده أنّه قد جاء بالسّحر

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 11، ص 274-276، بتصرّف.

2- سورة يونس، الآية 78.

ليصرفهم عما وجدهم عليه هم وآباءهم من الكفر وعبادة آلهة من غير الله، ثم عدل إلى خطاب المثنى الموجّه إلى موسى وهارون، لأنّ الكفار أشركوا أخاه لاعتقادهم أنّهما جاءا لصرفهم عن دين آباءهم، إلى ما يأمر به موسى وأخاه، ويكون لهما الملك والعظمة والعلوّ عليهم فيصيروا أتباعاً لهما، فلو لم يكن هذا التفتاتاً لكان الأصل أن يقول: (وتكون لك الكبرياء في الأرض وما نحن لك بمؤمنين).

والسرّ البلاغي من وراء هذا الالتفات هو إنكار وتوبيخ قوم موسى وهارون على ما جاء به من أعمال وسحر خشية احتلالهما الملك والسلطان عليهم فأنكروا ذلك، وهذا ما فسّره أبو حيان الأندلسي فقال: «أجئتنا» خطاب لموسى وحده لأنّه هو الذي ظهرت على يده معجزة العصا واليد (...)، ومجيئه إليهم هو أن ينقلبوا عن دين آباءهم إلى ما يأمرهم به وبطيوعه، حتّى يكون لهما الملك والرفعة، وذلك بإطاعتها واستعلاءهما عليهم، والسبب هو التقليد والثاني الجدّ في الرأسة، فأخذوا يعارضونه بأنواع من السحر لكي يظهروا للناس ما جاء به من باب السحر¹، أي بالغوا في الإهانة لهما وعدّوا أنّ ما جاء به هو من باب السحر، فحاولوا مجاراتهما بكلّ ما عندهم من حجج ليبينوا للناس ما قالوه.

1- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: 01: 1993، ج: 05، ص 180-181، بتصرف.

د- الالتفات من التثنية إلى الجمع: ومن مواطن الالتفات بهذه السورة نجد قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹، حيث نجد أنّ الالتفات في صدر الآية جاء بأسلوب التثنية، وذلك في "تبوءا لقومكما" أي "أنتما"، لأنّ الله أمر موسى وهارون عليهما السلام باتخاذ مساجد وجعلها مستقبلية للقبلة لتأدية الصلّاة فيها، ثم عدل إلى الجمع في "اجعلوا، وأقيموا" أي "أنتم"، فجعل الخطاب عام، لأنّ إقامة الصلّاة موجّهة لموسى وهارون والذين آمنوا معهما، وأصل الكلام كان أن يأتي على: (واجعلا بيوتكما قبلة وأقيما الصلّاة).

والفائدة من هذه الآية هي: التنبيه على ما حقّ الكلام أن يكون وارداً عليه، والدلالة على الاختصاص، لأنّ فعل الصلّاة يخص جميع المسلمين وليس موسى وهارون فقط، «فلقد كان بنو إسرائيل لا يصلّون لا في مساجدهم ولا في كنائسهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتهديم مساجد بني إسرائيل وخرّبت كلّها ومنعوا من الصلّاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتّخذا وتخيرا لقومكما مساجد بمصر، ولم يرد المساجد المسكونة، ولم تخلّ الصلّاة من شروط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة»²، فأمر الله بني إسرائيل بالصلّاة سرا ليأمنوا شرّ فرعون لما أخافهم وهدّم بيوتهم، فأمروا بالصبر واتّخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلّاة والدّعاء إلى أن يتمّ وينجز وعده.

1- سورة يونس، الآية 87.

2- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: مجدي محمد سرور باسلوم، مج: 05، دار البيان العربي: القاهرة، ط: 1: 2008 ص 279، بتصرّف.

3- في الأفعال: للأفعال الأثر الكبير في تلوين أسلوب الكلام، ومنحه مسحة جمالية، فكلمًا تخالفت صيغتان في نسق واحد، مثال ذلك المخالفة بين "الماضي والمضارع والأمر"، أحدثت حركية في المعاني، وأكسبت العبارات تنوعاً ونشاطاً، ويتحقق هذا النوع في هذه السورة ومن شواهد في سورة يونس:

أ-الالتفات من الماضي إلى المضارع: ومن شواهد هذه المخالفة نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾¹، والملاحظ من هذه الآية أنّ هناك مخالفة بين أزمنة الأفعال حيث ورد في صدر الآية الفعل "خَلَقَ" بصيغة الماضي أي "هو"، ثم التفت عنها في "يدبّر" التي وردت بصيغة المضارع أي "هو"، ويعود كلا الفعلين على الفاعل الذي هو "الله"، وجاءت لفظة "خلق" بصيغة الماضي ليبيّن للناس أنّه هو الذي خلق الأرض التي يمشون عليها والسّموات في ستّة أيام، وأنّه لا شريك له في الملك وأنّ الخلق حدث وانتهى، أمّا لفظة "يدبّر" فجاءت بصيغة المضارع لأنّ تدبيره لأمر ومصالح الناس مازالت قائمة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ينزل الأمور وينظر في أديارها وعواقبها، ولا يخرج أمر من هذه الأمور عن قضاءه وسيطرته وتقديره لها، للدلالة على أنّه هو المستحقّ

1- سورة يونس، الآية 03.

بالعبادة وألاّ تشركوا أحدا في خلقه من ملك أو إنسان، ولكن أصل الكلام كان يجب أن يكون: (دبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه).

والفائدة التي اقتضتها الآية الكريمة هي: التلطف والترقق بالمخاطب ودعوته إلى عبادة الله والتفكير في خلقه ونفي الشرك عنه، وإفراده بالألوهية والوحدانية والانقياد لأمره ونواهيه، «إذ ليس خلقهم عبثا بل على ما اقتضته حكمته وسبقت به إرادته، وأنه قادر على إيجاد هذا الخلق العلوي والسفلي العظيمين، وهو ربهم الناظر في مصالحهم»¹، إذ أنّ أدنى التفكير والنظر في خلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير واستواءه على العرش في ستة أيام ينبّههم على الخطأ فيما هم عليه، «الله وحده هو الذي يقضي ويقدر، لا شريك له في تدبير خلقه، يبعث الأمر وينزل به ويأمر به الملائكة فجبريل للوحي، وميكائيل للقطر (...) وحقيقته تنزّل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها، فلا يشفع أحدٌ نبيٌّ ولا غيره إلاّ بإذنه سبحانه، وهذا ردّ على الكفار فيما عبدوه من دون الله، أي ذلكم الذي فعل هذه الأشياء من خلق السموات والأرض هو ربكم لا ربّ لكم غيره أي وحدّوه وأخلصوا له العبادة، أي أنّها مخلوقاته فاستدلّوا بها عليه»²، وهذا حتّى يصلوا في النهاية إلى أنّ الله هو الخالق والقادر والمدبّر لشؤون هذا الكون العظيم وهو الذي يسيّره كيف ما شاء، حتّى إذا أدرك عظّمته وجبروته جلّ في علاه لجأ إليه وأخلص له وخصّه وحده بالعبادة.

1- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج:05، ص128، بتصرف.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج:05، ص239، بتصرف.

ب- الالتفات من الماضي إلى الأمر: ونجد من بين شواهد هذا النوع من المخالفة في

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِمُرْعَاهٍ غَيْرِ

هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ

إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ¹، إذ جاء الفعل "قال" أي "هو" في بداية الآية بصيغة

الماضي، لأن الآية نزلت في المستهزئين بالقرآن لما أنكروا ما جاء به محمد صلى الله

عليه وسلم وظنوا أنه من عنده فقالوا: «أنت بقرآن غير هذا أو بدله» واجعل مكان هذا

الكلام الذي جئت به كلاماً آخر من اختيارك، واقتراحهم عليه التبديل والتغيير هو من

باب الطمع واختبار حاله، فعدل إلى فعل الأمر "قُلْ" أي "أنت" لأن الله أوحى إليه بأن

يقول لهم يستحيل عليّ تبديل آيات من هذا القرآن لأنها من عند الله وليست من عنده

هو، ولأنّ هناك في هذه الآية التفات جاء الخطاب بهذا الأسلوب، ولكن أصل الكلام:

(قال ما يكون لي أن أبده من تلقاء نفسي).

والآية تتضمن فائدتان: الأولى قصد المبالغة لأنّ الكفار كانوا يبالغون في أفعالهم

وافترأهم على الله، وإنكارهم إعجاز آياته وعدم تصديقهم بها، ولكونهم لم يكونوا يعترفون

بأنّ القرآن معجز وأنهم عاجزين عن الإتيان بمثله طلبوا منه أن: «يجعل مكان آية عذاب

آية رحمة ويسقط ذكر الآلهة، وذمّ عبادتها، فقال لهم إنّ هذا الأمر من عند الله وإني

1- سورة يونس، الآية 15.

أتبع ما يأمرني الله به، ولا يحلّ لي أن أبدله وإن نسخت آية تبعت النسخ والتبديل، وعصيت ربّي وأنا أخاف إن فعلت هذا عذاب يوم عظيم وهو يوم شديد العقاب»¹.

والثانية للدلالة على الاختصاص فالرسول صلى الله عليه وسلم خصّ الله بالعظمة والقدرة، وأنّ القرآن معجز في آياته وهو من عنده، وأنّ هناك يوم عظيم لمن عصاه وكفر به وهو يوم القيامة، «فالمشركين طلبوا منه أن يأتي بكتاب آخر يقرؤوه ليس فيه ما يستبعدونه من البعث والعقاب بعد الموت، أو ما يكرهونه من معائب آلهتهم، أو بأن يجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى، ولعلّهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه، قال ما يصحّ لي من قبل نفسي إن عصيته وبدلته عذاب يوم عظيم»²، فإنّه من المحال أن يبدّل أحد ما جاء به الله سبحانه وتعالى أو يشرك فيه شيء، وإن فعل فقد عصاه وسينال عذاباً شديداً يوم لقاءه.

ج- الالتفات من المضارع إلى الماضي: من مواطن الالتفات بهذه الصيغة نذكر

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءَ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، والالتفات هنا حاصل بين صيغتي المضارع والماضي، بين "ترهقهم"

1- الزمخشري، الكشاف، ج:03، ص543، بتصرف.

2- القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: ياسر سليمان أبو شادي، المكتب التوفيقية: القاهرة، دط، ج:01، ص549، بتصرف.

3- سورة يونس، الآية 27.

و"أغشيت" أي "هي"، فالله تعالى يذكر ما أعدّه للذين كسبوا السيئات ومآلهم وحالهم يوم القيامة، وأن من اقترف معصية سيكون الجزاء بمثها وما يليق بها من العقوبات، وأنهم لا يجدون نصرة من عند الله، ولا ينجيهم أحد من سخطه وعذابه، وأورد "ترهقهم" في زمن المضارع لأنّ فيها حالة وصف للكافرين على ما سيجزيهم الله به، وهي أنّ وجوههم ستغشاها الذلّة والقتّر، فعُدل إلى "أغشيت" بصيغة الماضي لأنّ وجوههم مسوّدّة من سخط الله عليهم مثل سواد ظلمة الليل، ولأنّ هذا التفتت جاء الخطاب على هذا الوزن، وأصل الكلام هو: (كأنّما تغشى وجوههم قطعاً من الليل مظلماً).

والفائدة المكتسبة من هذه الآية هي قصد المبالغة إلى أنّ ما يقومون به من فساد وبغي في الأرض، واكتسابهم سيئات، سيلقون جزاءً من عند الله بما اقترفوا من كبائر وفواحش ومنكرات، وأنّ جزاءهم اللعنة والنار خالدتين فيها، «فلما كانت ظلمة الليل نهاية في السّواد شبّه وجوههم بقطع من الليل حال اشتداد ظلمته»¹، وذلك أنّ بضاعتهم التي اكتسبوها في الدّنيا هي الأعمال السيّئة المسخّطة لله، من أنواع الكفر والتّكذيب، وجميع أنواع المعاصي، «أي يغشاهم هوان وخزي من عذاب الله ما لهم من مانع يمنعهم منه، وألبست وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمته»²، أي بحسب ما عملوا من السيئات والمعاصي يسوؤهم العذاب، وعلى اختلاف أحوالهم تغشاهم ذلّة ففي قلوبهم، وخوف من

1- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج:05، ص:149، بتصرّف.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج:05، ص:255.

عذاب الله لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة التي لا ترى إلى ظاهرهم فتكون سواداً في وجوههم.

4- في الصيغ: الالتفات بالصيغ في هذه السورة نادر جداً حتى نكاد نقول أنه منعدم، إذ ورد في موضع واحد فقط لا أكثر، وهو في الفعل ويظهر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹، إذ العدول في هذه الآية يتمثل في اختلاف صيغة الفعل "نُنَجِّي" المأخوذة من الفعل الماضي "نَجَّى" على وزن "فَعَّلَ" إلى الفعل "نُنَجِّ" المصاغ من الفعل الماضي "أَنَجَّى" على وزن "أَفْعَلَ"، إذا وردت الأولى بالياء والثانية حذفت منها الياء، ولكنهما يحملان نفس المعنى، إذ جاء الفعل للدلالة على أن الله وعد رسله والذين آمنوا معهم أنه لحقّ عليه نصرهم جميعاً، ويهلك الكافرين والأعداء الذين كانوا يهدّونهم بالعذاب، ففضلاً منه جعل النصر للمؤمنين حقاً عليه تحقيقه لهم، وأصل الكلام هو: (كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين)، ولكلّ منهما معانٍ خاصّة به فصيغة "فَعَّلَ" تدلّ على التكرار والتكثير والمبالغة، أمّا صيغة "أَفْعَلَ" فتحمل معنى التعدية.

وسرّ العدول في هذا الموضع هو تعظيم شأن المخاطب لأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين لهم شأن عظيم عند ربّهم، وفي هذا قال ابن عاشور: «أنّ "نُنَجِّي" وردت بالياء، و"نُنَجِّ" بدون ياء، فالمخالفة بينهما جاءت للتفنّن وكذلك

1- سورة يونس، الآية 103.

لالتقاء الساكنين ولكنّ المعنى واحد، وهو أنّ الله جعل إنجاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم به من العذاب بقدرته كما أنجى الرّسل من قبله»¹، فوعدهم بالنّجاة ودفع الأذى والبلاء عنهم، وجعل ذلك حقّاً عليه وواجباً، وجرى هذا الوعد بمثابة الدّين الذي يستوجب قضاءه، ولأنّ تخلص الرسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين من العذاب إلى الثّواب واجب، كما وعدهم بالمنزلة الرّفيعة التي سينالونها، وهذا كرمًا وجزاءً لإيمانهم وطاعتهم له، واتباعهم الرّسل دون أن يروونه، وكأنته قيل: «نهلك الأمم ثمّ ننجي رسلنا ومن آمن بهم، على حكاية الحال الماضية، كذلك الإنجاء أو إنجاء كذلك ننجي محمّداً وصحبه حين نهلك المشركين»²، أي أوحينا على أنفسنا ننجي المؤمنين فإنّ الله يدافع عن الذين آمنوا، فإنّه بحسب ما مع العبد من الإيمان وما له من الحسنات والتّمسك بالدّين تحصل له النّجاة من المكاره في الدّنيا والآخرة وشدائدهما.

ومما سبق نستنتج أن سورة يونس تزخر بمجموعة من صور الالتفات، ويساهم في تلوين أسلوب الكلام، ويحفظ نشاط المستمع، وذلك لما يحمله من فوائد وأسرار بلاغية، تمنح للكلام صبغة خاصة تجعل القارئ يبحث عمّا هو موجود خلف المعنى الظاهري، والغوص في خفايا هذا الكنز الذي لا يزول على مدى العصور، وتختلف هذه الأسرار

1- ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج:11، ص299، بتصرّف.

2- البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، ج:01، ص571.

من آية لأخرى وهي متنوّعة: من مبالغة وتوبيخ... وغيرها، ولكن لكلّ منها دلالة خاصّة اقتضاها المقام.

من خلال دراستنا التّطبيقية حول بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس نخلص إلى أنّها حافلة بمجموعة من صور الالتفات المتنوّعة من "ضمائر وعدد وأفعال وصيغ"، حيث أحصينا وصنّفنا كلّ نوع في جدول وأتبعنا كلّ واحد بتعليق، وخلصنا إلى أنّ الغلبة كانت للضمائر، وهذا ما تناولناه في المبحث الأول، أمّا في المبحث الثاني فقمنا بعرض بعض النّماذج لكلّ نوع من هذه الأنواع، واستخرجنا الشّاهد وبيّنا موقعه، ثمّ حلّلناه وشرحناه وكشفنا عن الأسرار البلاغية التي منحها للمعنى، وبيّنا أصل الكلام لو لم يكن التّفاتاً، وأبرزنا كذلك مدى اسهامه في إعجاز القرآن الكريم من حيث لغته وأسلوبه ودقّة تأليفه.

الخطمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج المتوصل إليها، والتي تعدّ ثمرة اجتهادنا في عرض مواطن الالتفات في سورة يونس، وبيان أسرار وفوائده التي كان لها الأثر في إعجاز القرآن الكريم، وهذه النتائج هي:

- إنّ الالتفات فنّ من فنون البلاغة العربية ولا يخرج في مفهومه عن الانتقال والانصراف والعدول من أسلوب إلى آخر.
- وهو موجود عند علماء اللغة القدامى، إذ تناولوه في مؤلفاتهم وألوه عناية فائقة لأهميته.
- لا بدّ في تحقّق الالتفات من توفّر عدّة شروط.
- أقسام الالتفات لا تنحصر في الضمائر والأفعال كما أشار بعض العلماء، وإنّما تشمل العدد (الإفراد، والتثنية، والجمع)، والصيغ (الاسم، والفعل)... الخ، وهو ما ذهب إليه الزركشي وحسن طبل.
- للالتفات أسرار بلاغية عند التّغيير في أسلوب الكلام، منها عامّة وأخرى خاصّة.
- الالتفات موضوع تتقاسمه علوم البلاغة الثلاثة: في علم المعاني أدرجه السكاكي، وهناك من أدرجه ضمن علم البيان، أما ابن الأثير والمتأخرون فقد أدرجوه ضمن علم البديع.

-
- الالتفات لا يخضع لأيّ قواعد وقوانين، إنّما هو مجرد تغيير أسلوبِي يلجأ إليه المتكلم للتلوين في كلامه، حتّى لا يسير على منوال واحد، لأنّ النفوس جبلت على التّغيير وتسام من الكلام الذي يأخذ نمطا واحدا.
 - يعدّ الالتفات من الأساليب البلاغية التي أسهمت في إعجاز القرآن الكريم في لغته وبلاغته ودقّة تأليفه، لذلك تلوّنت أساليبه.
 - من خلال الدراسة التي قمنا بها، يتبيّن أنّ الالتفات من بين الأساليب التي أسهمت في تحقّق الإعجاز القرآني، لما له من أسرار وما يتركه من أثر على السّامع.
 - سورة يونس تشتمل على مجموعة من صور الالتفات تصل إلى 69 شاهدا.
 - أمّا أكثر أنواعه ورودا في السورة فهو الالتفات بالضمائر الذي وقع في 36 موضعا، وكانت الغلبة للانتقال من الغيبة إلى التكلّم الذي ورد في 11 موضعا.
 - والعدد ظهر في 21 موضعا وكان النوع الغالب هو الالتفات من الجمع إلى المفرد وذكر 12 مرّة.
 - والالتفات في الأفعال وقع في أحد عشر موضعا وغلب عليه الالتفات من الماضي إلى المضارع، وظهر 08 مرّات بهذا الوجه.
 - أمّا في الصيغ فقد ورد مرّة واحدة بصيغتي الفعل "أفعل" وفعلّ" وهو النوع النادر داخل هذه السورة، ولم يكن هذا الانتقال إلّا لغاية معيّنة اقتضاها المقام، لذلك تنوّعت الفوائد والأسرار البلاغية المرجوة منه.

- لم تشتمل سورة يونس على كلِّ صور وأقسام الالتفات، فمثلاً في الضمائر لم نجد الانتقال من الخطاب إلى التكلّم، وفي العدد لم نجد الانتقال من التثنية إلى المفرد، ومن الجمع إلى التثنية، أمّا فيما يخصّ الأفعال فقد غاب فيها الالتفات من المضارع إلى الأمر.

- اعتناء المفسّرين بتحليل وشرح هذا الأسلوب في القرآن الكريم ومنحه مكانة خاصّة في مؤلّفاتهم كالزّمخشري والرازبي وأبي حيّان الاندلسي، وابن عاشور... وغيرهم.

- ومن أهمّ الأسرار التي احتوتها سورة يونس ومن خلالها فسّرنا الالتفاتات الموجودة داخلها نجد: "التوبيخ والانكار، قصد الدلالة على المبالغة، التثبيح على ما حقّ الكلام أن يكون وارداً عليه، تعظيم شأن المخاطب، قصد الدلالة على الاختصاص".

يبقى النصّ مفتوحاً لمزيد من الدّراسات والبحوث الأخرى تكمله، أو دراسته من جوانب أخرى مختلفة، لأنّ القرآن الكريم عامّة يزخر بمجموعة من الأساليب المختلفة أسهمت في إعجازه، وسورة يونس خاصّة تضمّ دراسات متنوّعة يمكن تناولها بطريقة أخرى كموضوع بحث، فنحن اقتصرنا على تحليل شاهد واحد لكلّ نوع واستخراج أسراره البلاغية، وعدم شرحنا لجميع الشّواهد والالتفاتات الواردة فيها، وقد يستطيع أن يأتي باحث آخر ويقوم بتحليل جميع هذه الشّواهد ويستخرج السرّ البلاغي من ورائها، ومدى إسهامها في إعجاز القرآن الكريم، وقد يجد كذلك أنواعاً أخرى لهذا الأسلوب غفلنا عليها نحن في بحثنا هذا، أو عثرنا على أساليب وأنواع أخرى حسبنا أنها أسلوب التفات أو نوع

من أنواعه وهي ليست كذلك، لأنه قرآن ولا نزعم أننا أعطينا هذه السورة حقها ووفيناها قدرها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نسأل المولى عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، بعزّته وقدرته رغم ما فيه من نقص، وأن يجعل جهودنا مفتاحاً لدراسات أخرى، وأن ينتفع به قارئه ولو بالقليل.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، اليمامة-السعودية، ط:01: 2008.

1) الكتب

1. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، مقاييس اللّغة، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط:03: 2011، ج:02، مادة (ل ف ت).
2. أبو السعود محمّد بن محمّد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مرآة القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، دط، ج:04.
3. أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيّوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنية، دط، ج:01.
4. أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج:25، حرف اللّام، دار نوبليس، دط، مادة (ل ف ت).
5. أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشّار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسّسة الرّسالة: بيروت، ط:01: 1994، مج:04.
6. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، مج:05، دار البيان العربي: القاهرة، ط:01: 2008.
7. أبو يعقوب يوسف محمّد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 01: 2000.

8. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث: القاهرة، ط: 02، ج: 03.
9. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان: السعودية، ط: 01: 1998، ج: 03.
10. حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 01: 1998.
11. ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت، ط، ج: 01.
12. عبد الرحمن حسن حبتكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم: دمشق-الدار الشامية: بيروت، ط: 01، ج: 01.
13. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، ط، ج: 17.

14. القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن الشيرازي البيضاوي، أنوار

التنزيل وأسرار التأويل، تح: ياسر سليمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية: القاهرة، دط،

ج:01.

15. القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن الشيرازي البيضاوي، أنوار

التنزيل وأسرار التأويل، تح: ياسر سليمان أبو شادي، المكتبة التوفيقية: القاهرة، دط،

ج:01.

16. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية: تونس،

دط:1984، ج:11.

(2) المذكرات

1. خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، قسم

الدراسات العليا، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص

البلاغة والنقد، جامعة أمّ القرى-السعودية-، 1414 هـ.

2. صفية مسعودي، الالتفات في سورة البقرة، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ليسانس تخصص

لسانيات عامّة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة-

2008م.

3. مريم هبّال، بلاغة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم واسراره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص اللسانيات النصية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-، 2015م.

4. منى رابحي، أسلوب الالتفات بمقامات الضمائر -سورة يونس أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص علوم اللسان العربي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، 2015م.

فهرس الموضوعات

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>
.....	مقدّمة
	الفصل الأوّل: ماهية الالتفات وأسراره البلاغية
7	تمهيد
8	المبحث الأوّل: تعريف الالتفات وشروطه
8	1- تعريفه
12	2- شروطه
15	المبحث الثاني: اقسام الالتفات
15	1- الالتفات في الضمائر
17	2- الالتفات في العدد
19	3- الالتفات في الأفعال
21	4- الالتفات في الصيغ
24	المبحث الثالث: الأسرار البلاغية للالتفات
25	1- تعظيم شأن المخاطب
25	2- التنبية على ما حقّ الكلام أن يكون واردا عليه
26	3- أن يكون الغرض به تتميم لمعنى مقصود للمتكلّم
26	4- قصد المبالغة
26	5- قصد الدلالة على الاختصاص
27	6- قصد الاهتمام
27	7- قصد التّوبيخ
	الفصل الثاني: بلاغة أسلوب الالتفات في سورة يونس
30	المدخل
30	أ- محتوى الفصل ومنهجيته
30	ب- التعريف بالمدوّة
33	المبحث الأوّل: الالتفات في سورة يونس - إحصاء وتصنيف -
33	1- في الضمائر

33	أ- من التكلم إلى الغيبة.....
36	ب- من الغيبة إلى التكلم.....
38	ج- من الغيبة إلى الخطاب.....
41	د- من الخطاب إلى الغيبة.....
44	هـ- من التكلم إلى الخطاب.....
45	2- في العدد.....
45	أ- من الجمع إلى المفرد.....
48	ب- من المفرد إلى الجمع.....
49	ج- من المفرد إلى التثنية.....
50	د- من التثنية إلى الجمع.....
51	3- في الأفعال.....
51	أ- من الماضي إلى المضارع.....
53	ب- من الماضي إلى الأمر.....
54	ج- من المضارع إلى الماضي.....
55	4- في الصيغ.....
57	المبحث الثاني: بلاغة الالتفات في سورة يونس -دراسة نماذج-
57	1- في الضمائر.....
57	أ- من التكلم إلى الغيبة.....
59	ب- من الغيبة إلى التكلم.....
60	ج- من الخطاب إلى الغيبة.....
61	د- من الغيبة إلى الخطاب.....
62	هـ- من التكلم إلى الخطاب.....
64	2- في العدد.....
64	أ- من المفرد إلى الجمع.....
66	ب- من الجمع إلى المفرد.....
67	ج- من المفرد إلى التثنية.....

69د- من التثنية إلى الجمع
703- في الأفعال
70أ- من الماضي إلى المضارع
72ب- من الماضي إلى الأمر
73ج- من المضارع إلى الماضي
754- في الصيغ
78الخاتمة
83قائمة المصادر والمراجع
88فهرس الموضوعات